خصائص التعليم العام فى الوطن العربى
ودوره فى مواجهة التحدى الإسرائيلى*

إن الحقيقة الأساسية التى تقوم عليها هذه الدراسة ، هى أننا نواجه تحدياً شرساً ليس على المستوى العسكرى وحده ، وإنما على المستوى الحضارى ، وما الناحية العسكرية إلا أحد جوانبه ، وإننا لا نواجه دولة واحدة ، وإنما مجموعة من القوى الاستعمارية الشرسة التى تتخفى وراء هذه الدولة وتمدها بكل مقومات الوجود واستمرار الوجود ، لذلك فإن الوسيلة الرئيسية لمواجهة هذا التحدى ، إنما هى بناء قوة ذاتية قادرة على إفراز قدرة عسكرية تستطيع التغلب على هذا التحدى وتكون لها ركائزها الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية .

ومن هنا فإن دراستنا لدور التعليم العام فى الوطن العربى فى مواجهة التحدى الإسرائيلى انصبت على دراسة الخصائص والأهداف التى يجب أن تتوافر فى هذا التعليم حتى يستطيع بالفعل أن يمد المجتمع العربى بالمادة الأولية الحقيقية التى تقبل التحدى وتتجاوزه ، ألا وهى الإنسان العربى الجديد المنشود . من أجل هذا انقسمت الدراسة إلى قسمين :

أولاً : التعليم والتحدى ، ويشمل الموضوعات التالية :

- لماذا يجب على التعليم أن يقوم بدور فعال لمواجهة التحدى الإسرائيلى ؟
- مكانة التعليم فى المجتمع الإسرائيلى .
- استخدام إسرائيل التعليم لقهر العرب .
- حاجتنا إلى سياسة تربوية عربية عامة لمواجهة إسرائيل .

ثانياً : دور التعليم العام فى الوطن العربى ، ويشمل القضايا التالية :

- العقيدة الدينية .
- القومية .
- التنمية .
- العلمية .
- الديمقراطية .

---

* دراسة قدمت إلى مؤتمر الأبعاد التربوية للصراع العربى الإسرائيلى التى عقدها قسم أصول التربية كلية التربية بجامعة الكويت عام ١٩٨٥ .

أولاً : التعليم والتحدى .

١- لماذا يجب على التعليم أن يقوم بدور فعال لمواجهة التحدى الإسرائيلى ؟

تؤدى فكرة التحدى والاستجابة دورا رئيسيا فى تصوير بعض المؤرخين للتطور الحضارى ، وفى تفسير أحداث التاريخ واستخلاص نتائجها وعبرها ، ، وهى التى يستند إليها فى إلقاء الضوء على العلاقات الدولية ، وأخيرا فى تبيان وجهة نظر هذا النفر بشأن طابع الحضارة الغربية بخاصة ، وبمستقبل الإنسان بصفة عامة .[١]

ويؤمن هذا النفر بأن المادة وحدها لا تكفى على الإطلاق لتفسير أحداث التاريخ ، كما أن الروحانية وحدها لا تفسر التاريخ وأحداثه تفسيرا مقنعا ، وذلك لأن الإنسان يستمتع بحرية منحها الله تعالى له ، ولكنها حرية جزئية ، وبفضل حرية الإنسان - مع إرشاده تعالى - يتحقق للإنسانية التقدم والارتقاء .

ولم يكن توينبى الوحيد فى مجال تطبيق فكرة التحدى والاستجابة فى الدراسات العلمية ، فقد اقتنص هيجل الفكرة كذلك ، وأنشأ منها نظرية فى منطق الجدل ، وهى عماد المذهب الماركسى ، إذ استقى منها ماركس ومريدوه أفكارهم عن المادية الجدلية ، والمادية التاريخية ، وتناقضات النظام الرأسمالى ، والصراع الطبقى ، وقيام الدولة ..... الخ . كما استخدم " مالثوس " الاقتصادى الإنجليزى فكرة التحدى والاستجابة فى تشييد نظرية عن " التناحر على البقاء " وعن طريق نظرية مالثوس ، كشف دارون عن نظريته فى التطور [٢] .

من منطلق منطق (التحدى والاستجابة)إذن ، نحاول فى هذا البحث أن نكشف عن الدور الذى يمكن فيه للتعليم فى البلدان العربية - بخصائصه ومقوماته وامكاناته - أن يقوم به لمواجهة التحدى الإسرائيلى . ولا شك فى أن السؤال الأول الذى يتبادر إلى الذهن هو : لماذا يجب على التعليم بالذات أن يلعب هذا الدور الفعال فى هذه المواجهة التاريخية ؟ هذا هو ما نحاول الإجابة عنه .

فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، على وجه التقريب اجتاحت الوطن العربى موجة غامرة من الوعى الاجتماعى أحدثت أثرا بالغا فى جميع نواحيه : فلقد استفاقت شعوب تطالب

---

[١] فؤاد محمد شبل : منهاج توينبى التاريخى ، سلسلة المكتبة الثقافية ، ٢٠٩ (القاهرة : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨)، ص ٤١ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٢ .

بحقها فى الحياة كاملاً ، وتجلت يقظتها تلك فى سعيها إلى تحقيق أمانيها وتقرير مصيرها ، وفى اعتزازها بتراثها الروحى والعلمى . ففى الحقل الدولى تجلى هذا الوعى فى تطلع شعوب العالم إلى تبوء مكانة بين دول العالم تتناسب وتراثهم العظيم وموقع بلادهم الجغرافى المرموق ، وفى مطالبتهم الملحة بنظام يحدد علاقات الدول بعضها ببعض على أسس من العدالة والمساواة .

أما فى الحقل الداخلى ، فقد أخذت آثار هذا الوعى الاجتماعى الشامل تظهر جليا فى كل بلد عربى وذلك فى تبرم أبنائه بأوضاعهم الحاضرة وفى المطالبة بالتفاهم والتكاتف بين البلدان العربية كافة ، وتحقيق العدالة الاجتماعية من خلال برامج علمية عملية فعالة تقضى على مظاهر التخلف الاقتصادى والثقافى والاجتماعى وتتيح لكل فرد من أفراد الأمة فرصة للعمل المثمر وللحياة الحرة الكريمة [٣].

ومع الأسف الشديد ، ففى الوقت نفسه ، كانت هناك قوى الغدر الاستعمارية ترقب الموقف وتحتاط له ، وتخطط لضرب أى حركة من شأنها أن تضع المجتمع العربى على طريق التحرر والتقدم ، فكان الابتلاء الرهيب بالاحتلال الإسرائيلى .

وكرد فعل طبيعى لهذه النكبة ، أخذ الجميع يفتشون عن الأسباب التى أدت بنا إلى أن نخفق هذا الإخفاق المزرى ، وسيقت أسباب عدة ، وأبرزت عوامل شتى ، لكن هذه الأسباب ، وهذه العوامل على اختلافها وتعددها ، كانت كلها تتفق فى الشكل العام وفى المنحى الرئيسى ، كانت كلها تقول أن معركتنا مع إسرائيل معركة (حضارية) ، معركة مع الغرب المتقدم القوى ... ، هل كنا محتاجين إلى دليل قوى يثبت لنا أن إسرائيل هى الغرب وأمريكا ؟ إن المجال ليضيق لو حاولنا أن نستشهد بمئات إن لم يكن بالآلاف من الأدلة التى تبرهن على ذلك .

وكخطوة منطقية فى التفكير ، كان لابد من أن يجتهد المخلصون فى رسم أقوى الطرق لتجاوز هذا التحدى الذى يودى تجاهله بالشعوب ، فسنة التاريخ أن البقاء للأصلح ... ولم يكن التفكير فى هذا الشأن عسيرا ، إذ أن الطريق واضح والسبيل بيّن ، إنه الأخذ بأسباب المدنية الحديثة ... فعندما نمعن النظر فى أحوال البلاد العربية كلها بنظمها الاجتماعية المتعددة ، وبمواقعها المختلفة قرباً من ، أو بعدا عن خط النار ، نجد أنها محتاجة كلها ، بدرجات متفاوتة طبعاً ، إلى شئ أساسى هو : أن تكون " دولاً عصرية " [٤].

إن الدولة المحاربة فى حد ذاتها هى الدولة التى تستطيع أن تصل ساعة الصدام إلى أقصى درجات التنظيم ، بحيث تستطيع أن تضع أكبر قدر من طاقتها بأقل قدر من الارتباك فى

---

[٣] حبيب أمين كورانى : محرر ، محاضرات فى نظم التربية فى لبنان وسوريا والأردن والعراق (بيروت : دائرة التربية بالجامعة الامريكية ، ١٩٥٦) ، المقدمة .

[٤] أحمد بهاء الدين : إسرائيليات ، وما بعد الحوان ، سلسلة كتاب الهلال ، ٢٠٠ (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٦٧) ص ٢٩٦ .

كفة القتال ، والطاقة على القتال هى الامتداد الطبيعى للطاقة الطبيعية لكل شعب ، خصوصاً فى الحرب الحديثة . لا يمكن أن نطلب من شعب اعتاد عدم التنظيم فى حياته العادية أن ينقلب بين يوم وليلة إلى شعب مهيأ لقبول نظام صارم حاسم ... لا يمكن أن نطلب من شعب لا يعرف فى حياته العادية قيمة الآلة وثمن الوقت ، أن يكتشف فجأة فى ساحة القتال قيمة السلاح وثمن الدقيقة والثانية .

ومن الأوهام التى انتشرت بيننا جميعا ونحن نسعى للحاق بالعصر الحديث وتحدياته ، أنه يكفى أن نشترى (معدات) العصر الحديث ... من آلات ومصانع وأدوات ، لكى نصبح دولا حديثة ومجتمعات حديثة . إنه لمن الأهمية بمكان أن نعرف الآن أن (اقتناء) هذه الأدوات ليس كل شيء ، فهناك قبل كل ذلك سؤال : " ماذا تقتنى ؟ وماذا لا تقتنى ؟ " ... ثم هناك قبل ذلك : أن تتحول الأدوات فى الأيدى العربية إلى أدوات خالقة ، لا أدوات صماء .

" العصرية " إذن هى فى الإنسان ، فى العادات والتقاليد والأخلاقيات ، وفى تنظيم العمل ، وفى دفع ضريبة التنظيم العصرى ... والتنظيم ليس معناه ، كما يُفهم أحيانا من الكلمة ، حشد الناس فى صفوف وطوابير ، بل معناه توزيع المسؤولية وتحديد الاختصاص ، على أن يكون العمل كله بعد ذلك فى انسجام تلقائى . والتنظيم بذلك المعنى ليس بديلا عن الأسلوب الديموقراطى فى العمل ، فجزء من التنظيم الحى ، أن تنظم عملية التعبير عن الآراء وتلاقى الخبرات لاستخلاص أسلم الآراء من مزيجها جميعا ... دون أن يغفل هذا سرعة البت والحسم اللازمة فى المجتمع المصرى [٥] .

وهنا نصل إلى نقطة على الطريق جعلت الكثيرين منا يصابون بالدوار إن لم نقل باليأس العظيم لقد أبصرنا طريقا طويلا لا يمكن إدراك نهايته إلا بعد سنوات طويلة ، أفليس الأمر فى التحليل النهائى هو أمر تغيير حضارى ؟ أليس الأمر هو أمر بناء مجتمع جديد ؟ وهل يمكن أن يبنى مجتمع جديد فى سنوات قليلة ؟ إن العدو لم يكن بالباب كما كنا نقول سابقاً ، ولكنه قد اقتحمه وأصبح داخل البيت ، فهل نطيق على ذلك صبراً ؟

ثم إذ بنا ندخل متاهة كبيرة ، إذ ظهرت آراء تقول : بل أننا لن نستطيع مثل هذا التغيير إلا إذا طردنا هذا العدو لأنه سيظل يمتص قوانا ويستقطب جهودنا ، مما لن يبقى معه شئ لبناء الدولة العصرية المنشودة ، وهكذا ازداد الأمر تعقيداً ، وكأننا نقف أمام المعضلة القديمة المشهورة : البيضة أم الدجاجة ؟ هل لابد من بناء الدولة العصرية حتى يمكن أن نطرد العدو ، أم لابد من طرد العدو حتى يمكن أن نبنى الدولة العصرية [٦] ؟

---

[٥] المصدر نفسه : ص ٢٩٩ .

[٦] سعيد إسماعيل على : التربية اليهودية الصهيونية (القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٤) ، ص ٤ .

لقد كان هذا هو اتجاه الحوار والنقاش بعد نكبة ١٩٦٧ بـــالذات ، حتـــى إذا تحقـق النصر الجزئى المذهل عام ١٩٧٣ ، زادت المشكلة تعقيداً فقد برز السؤال الخطير : إذا كـــانت التربية تقوم على مُسلمة مهمة وهى وحدة المجتمع وترابط عناصره العضوية ، فكيـــف تســـنى لعنصر من عناصر المجتمع - وهو الجيش - أن يحرز هذا الانتصار المذهل ، وبقية العنـــاصر على ما هى عليه ، تقريبا ، من عيوب خطيرة وثغرات مميتة ؟ بمعنى أخر : إذا كان الجيـــش بالنسبة لأى فئة فى المجتمع - نتاج تربية هذا المجتمع ، ونحن نعرف ، ونقر بذلك ونعـــترف ، أن نمط هذه التربية - واقعيا - متخلف ومهلهل ، فكيف إذن استطاع أن يفعل ما يفعله ؟

وتأتينا الإجابة من داخل الجيش نفسه ، لكنها تزيدنا حيرة ، فهى تبين لنا أن ما كان يجرى داخل الجيش ، كان مختلفا تماما عما كان يجرى فى الوعاء الأكبر ، فى المجتمع : هناك تخطيط وتدبير وجدية وأقصى درجات التطور وأعلى مراتب التعلم والتدريب وأرفـــع درجـــات الذكاء وأحسن وسائل التربية والتثقيف [٧] ...

إذن : أين يمكن أن تقف التربية لتلعب دورها فى معركة التحدى الحضـــــارى مـــع إسرائيل ؟ فى ظل هذا المنطق ، لا مكان لها ولا دور ، ما دام الجيش قد اســـتطاع أن يتكفـــل بهزيمة العدو .

نتيجة صحيحة أوصلتنا إليها المقدمات السابقة .

لكننا كمربين ، لا نستطيع أن نرضخ لهذه النتيجة ،لا بدافع من الاعتزاز بالنفس فقط ، ولا رغبة فى أن يكون لنا شأن فقط ... نحن نرفض هذه النتيجة لأنها لا تتفق ومنطق التـــاريخ ، بل أنها لا تتفق مع منطق التربية نفسها إذ أن قبولها يعنى عدم التربية وفناءهـــا . وهـــذا هـــو المستحيل بعينه ، إذن لا بد من مراجعة المقدمات ، فلربما أخطأنا السياق ، ولربما لـــم نبصـــر وجه الحق كله . ألم نقل أن المواجهة مع إسرائيل ، إنما هى مواجهـــة حضاريـــة ؟ أوليســـت المواجهة الحضارية تعنى أن تدخل كل جزئية من حياتنا فى معركة مع كل جزئية فـــى حيـــاة إسرائيل ؟ فهل تم هذا فى تشرين الأول / أكتوبر عام ١٩٧٣ ؟ إننا لا نقلل من شأن ما حـــدث ، بل أننا لا نستطيع ذلك ، وإنما لا بد أن نقول ، إنها كانت مجرد جولة من سلسلة طويلـــة مـــن الجولات لا بد منها حتى تنتهى المواجهة كلية . فكما شاع القول عقب هزيمة ١٩٦٧ أننا لم نخسر الحرب ، وإنما خسرنا معركة ، فكذلك لا بد من القول بعد تشرين الأول / أكتوبـــر عـــام ١٩٧٣ ، وملامح البطولة الفلسطينية على الأرض اللبنانية ١٩٨٢ : إننا لم نكسب الحرب وإنما كسبنا معركة .

---

(٧) انطوان زحلان : العلم والتعليم العالى فى إسرائيل ، ترجمة محمد صالح العالم ، (القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٦٩) ، ص ٦ .

الحرب إذن لم تنته ، والمواجهة إذن قائمة ، والطريق إذن مازال طويلا . ومن هنا فإذا كان (الجيش) قد كسب المعركة ، فإن القضية الأساسية هنا أن (المجتمع العربى) لن يكسب (الحرب) إلا بتغيير نمط حياته وأسلوب تربيته .

ومن جهة أخرى فإن منطق البحث العلمى ، يتطلب من الإنسان ، إذ أراد أن يتصدى لمشكلة ما أن يدرسها ويعرف أبعادها المختلفة ، وبعدها يمكن أن يفكر فى حل لها ، وما دام الأمر كذلك فإن مواجهتنا للتحدى الصهيونى تتطلب منا دراسة الصهيونية ، ومعرفة المجتمع الإسرائيلى الذى تتجسد فيه كل دعاوى الصهيونية حتى يمكن أن نحسن المواجهة .

٢ - مكانة التعليم فى المجتمع الإسرائيلى .

إذا كان من الطبيعى بالنسبة لأى مجتمع أن يحشد كل ما يستطيع من جهد حتى يمكنه الاستفادة من كل ما يملكه من طاقات وموارد ، فإن هذه الحاجة تشتد أكثر ، إلى الدرجة التى تصبح عندها قضية حياة أو موت ، بالنسبة لتلك المجتمعات محدودة الموارد والطاقات ، وهو الأمر الذى ينطبق على إسرائيل بصورة واضحة ، إذ نجد هنا أننا بإزاء دولة محدودة الموارد إلى الدرجة التى لا بد عندها من وجود قوى بشرية منظمة ، تقف على رأسها قيادة على مستوى عال من الكفاءة ، تعمل بهدى ما تقوم به الجامعات ، ومراكز البحث العلمى الأخرى ، من أبحاث ، حتى يمكن لهذه القيادة أن تطمئن - ويطمئن معها الناس - إلى أن ما اتخذته من قرارات سواء فى المجال السياسى أم العسكرى أم الاقتصادى أم غيره كانت قرارات يتوافر لها قدر كبير من الصحة والسلامة وحسن التقدير [٨] .

وإذ نصل إلى هذه المقدمات ، فإن النتيجة الحتمية ، هى أن تركز إسرائيل على الاهتمام بالتربية والتعليم بجوانبها المختلفة كوسيلة أساسية لحسن استغلال الموارد المحدودة عن طريق قوة بشرية منظمة وقيادات ذات كفاءة عالية .

وإذا كان قيام الأسرة بدورها فى عملية التنشئة الاجتماعية فى إسرائيل يعترضه العديد من العقبات التى ترجع أساساً إلى اختلاف أصول الأسر النازحة إلى إسرائيل ، فإنه لمن المنطقى أن تحاول الحركة الصهيونية تعويض ذلك القصور بتركيز قدر أكبر من اهتمامها على الدور الذى تلعبه سائر المؤسسات التعليمية فى التنشئة الاجتماعية باعتبار أن تلك المؤسسات أقرب منالاً من حيث إمكانية توجيهها والإشراف عليها من الأسرة ، كما أنها يمكن أن تضمن بين جنباتها خليطا من أطفال وشباب تلك الأسر المتنافرة الأصول ، بحيث يمكن أن تصبح

---

[١] على : المصدر نفسه ، ص ١٠ .

كبوتقة ينصهر فيها الجميع لينشأ فيها ذلك التكوين السيكولوجى المأمول [٩] . إن ذلك التكوين الموحد هو الشرط الأول ، والقاعدة الرئيسية التى يمكن من خلالها الانطلاق بعد ذلك لحسن استغلال الموارد .

ولعل خير تعبير عن أهمية دور تلك المؤسسات فى إسرائيل هو تلك العبارة ، أو بالأحرى ذلك الشعار الذى أورده العالم الفرنسى جوزيف كانزمان مستشار معهد التنمية الصناعية والاجتماعية فى فرنسا فى كتابة الدروس المستفادة من التجربة الإسرائيلية حيث يقول : " قد تعد الدبابات السنتوريون عامل أمن للمستقبل القريب ، ولكن بالنسبة للمستقبل الأبعد ، فإن المدرسة والجامعة تمثلان عوامل للأمن الأكثر أهمية بكثير من ذلك " . ويقول العالم الفرنسى الجنسية اليهودى الديانة (جورج فريدمان) ، مدير مركز دراسة وسائل الاتصال الجماهيرى التابع لجامعة السوربون ، والذى سبق له أن شغل منصب رئيس الرابطة الدولية للعلوم الاجتماعية ، يقول فريدمان فى كتابه المعنون أهى نهاية للشعب اليهودى ؟ : " من الواضح أن الحل الوحيد لمشكلات الجانب الأخر فى إسرائيل (يعنى الإسرائيليين الشرقيين) هو التعليم بأوسع ما يعنيه الاصطلاح ، وبحيث يمتد إلى التأثير فى الأسرة ، ولسوء الحظ ، فإن المنجزات الإسرائيلية فى مجال التعليم القومى - رغم ما تحظى به مشكلاتها حاليا من اهتمام بالغ واعتمادات مالية - تعد أقل بكثير من المنجزات الإسرائيلية فى الزراعة أو الصناعة أو الأمن القومى " . ثم لا يلبث أن يدعو إلى حملة قومية فى الصحف الإسرائيلية تحت شعار " أليس التعليم أمنا قوميا أيضا ؟ " [١٠] .

ومن هنا كانت الانتقادات المتعددة الحكومة الإسرائيلية فى الكنيست رغم ما نعرفه من جهودها الكثيره فى هذا المجال ، إذ أن هناك رغبة دائمة فى المزيد من التعليم ، ففى جلسة الأربعاء ٢٦ تشرين الأول / أكتوبر سنة ١٩٦٦ وقف (أستر رزيئيل) من (جاحال) ليقول [١١] .

" من الواجب علينا أن نذكر قيمة التعليم وأهميته ، ليس فقط بالنسبة إلى الطلبة الذين يتعلمون فيه ، ولا بالنسبة للمؤسسات التى يتعلم فيها هؤلاء الطلبة ، ولكن بالنسبة إلى الدولة والشعب . وفى هذه الفترة التى نعيش فيها ، والتى نجد فيها الإنسان يشق الفضاء ليحاول الوصول إلى القمر ، أو ينزل إلى الأعماق لإجراء أبحاث مختلفة فى جميع فروع العلم والثقافة ، أكثر من أى وقت مضى يعتمد قيام الدولة على تلك الأمور فقط . وإذا أرادت إسرائيل المحافظة

---

[٩] قدرى حنفى : تجسيد الوهم : دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية (القاهرة : مركزو الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧١) ، ص ١٥١ .

(١٠) المصدر نفسه : ص ١٥٢ .

(١١) مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ، محاضر الكنيست ، (الأهرام : [المركز] ، ١٩٧١) ، ص ٩٦ .

على مكانها - بصفتها الزعيمة الروحية للشعب الإسرائيلى كله - وعلى موقفها من قضايا الحضارة ، من الواجب علينا أن نبحث مشكلات التعليم العالى والبحث والتعليم والقيم الروحية "

والوعى بأهمية التعليم وضرورته للدولة يقتضى أيضا توافر الوعى بأن المسألة لا يمكن أن تقف عند حد الأرقام ، بحيث تعالج مسائل التعليم كما تعالج البضائع والسلع المختلفة ، وهذا ما نبه إليه " أروى أفنيرى " من (هاعولام هازية) وحذر منه [١٢].

وإذ يحتل التعليم هذه المكانة وذلك الموقع ، فلابد أن تفزع الحكومة من تهمة إهمال التعليم ، يعبر عن ذلك قول وزير المعارف والثقافة فى الجلسة نفسها : " إن التعليم من أهم أهداف الدولة " وكذلك قوله : " أعرف انه بعد ميزانية الدفاع ، تعتبر ميزانية المعارف والثقافة من أكبر الميزانيات فى الدولة " [١٣] .

وفى المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين ، شبه " شمعون افيزيمر " - من إسرائيل ، حركة العمل - العلاقة بين الحركة الصهيونية وبين التربية ، بالعلاقة بين " الشكل " و" المضمون " ، فالحركة الصهيونية بجميع مؤسساتها ، وأقسام الوكالة الصهيونية ، هى الإطار أولاً وأخيراً ، وأما التربية فهى الروح ، وهى الجوهر . " وبالطبع فإن التربية دون إطار ، ستكون تصميما دون شكل ودون مقاييس ودون حدود ، وأما الإطار بغير مضمون وبغير تربية تليق به ، فهو إطار لا شكل له ولا منظر " [١٤] .

٣- استخدام إسرائيل ، التعليم ، لقهر العرب .

يمكن تلخيص جوهر الأيدلوجية الصهيونية ، فى النظرية والتطبيق ، على أنها استيراد الأفكار الدينية ونقلها من مجالها الدينى إلى مجالها السياسى ، وهو نقل فى الأفكار ينتج عنه فى الممارسة نقل ديمغرافى : نقل اليهود من المنفى إلى أرض الميعاد ، ونقل العرب من أرض الميعاد إلى أرض المنفى . ولتسويغ عملية نقل اليهود هذه ، قام الصهاينة بنقد الشخصية اليهودية فى المنفى (بوصفها ممثلة للماضى الذى يتمردون عليه) ثم طرحوا تصورا لليهودى الخالص الذى سيحل محل يهودى المنفى (بوصفه ممثلا للمستقبل المؤمل فيه) . وبالنسبة لعملية النقل الديموغرافى الثانية ، فثمة انتقاد للشخصية العربية أيضا ، وثمة تصور للعربى فى

---

[١٢] المصدر نفسه : ص ١٠٥ .

[١٣] المصدر نفسه : ص ١٠٥ .

[١٤] مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ، المؤتمر الصهيونى السابع والعشرون (القاهرة : [المركز] ، ١٩٧١ ، ج٢ ، ص ٨٦٠ .

المستقبل ، ولقد ركز الصهاينة على انتقاد الشخصية العربية فحسب ، ومن النادر أن نجد في الكتابات الصهيونية طرحا لتصور الشخصية العربية في المستقبل . والصهيونية تتعامل مع الإنسان العربي في عدة مستويات ، تتسم كلها بأنها " تجرد " الإنسان العربي من وجوده المتعين تجريداً متزايدا حتى يختفي كلية ، ويتحول من العربي المتخلف إلى العربي الغائب [١٥] .

ومن هنا مثلت الثقافة العربية أحد المواقع الاستراتيجية التي تتجه إليها السياسة الإسرائيلية في تطبيقها لمبدأ الاستيعاب من خلال الدوائر المتخصصة في الشؤون العربية الموجودة في مختلف المؤسسات الإسرائيلية ، ونظرا لما تقوم به الثقافة العربية من دور بارز في حفظ مقومات الشخصية العربية القومية [١٦] . فالثقافة العربية تعني السمات الروحية والعاطفية والمادية والفكرية للمجتمع العربي ، وهي تركز على التراث العربي بمقوماته وخصائصه ، ففي إطاره تتشكل الشخصية العربية ليصبح محتوى هذه الشخصية ومضمونها ، وبدونه يتعذر استمرار هذه الشخصية بخصائصها ومقوماتها المتميزة . والثقافة العربية بهذا التحديد تمثل جبهة لا بد للسياسة الإسرائيلية اختراقها إذ أريد للأهداف الصهيونية أن ترى النور ، ويمكن ذلك الاختراق من خلال تقويض أركان هذه الثقافة .

ولذلك نرى القيادة الإسرائيلية وهي تتعامل مع المواطن العربي الفلسطيني في الأرض المحتلة تتجه إلى البيئة العربية كجزء من التراث ، وتتجه إلى تلك القنوات التي تنتقل عبرها الثقافة العربية من جيل إلى جيل ، فتقوم سياستها في مواجهة البيئة العربية إلى طمس المعالم العربية ، وتعتمد إزاء الجوانب الأخرى من التراث العربي إلى التجهيل من جهة ، وتشويه الحقائق من جهة أخرى ، وتقابل ذلك عملية تضخيم لصورة إسرائيل لتكون الصورة التي لا بديل عنها تستخدم إسرائيل جميع الأدوات والوسائل التي تمكنها من ذلك [١٧] .

وفي سبيل ذلك عمدت سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي إلى العمل على تغيير الأوضاع المادية والمعنوية في شتى مرافق الحياة في الأرض المحتلة في أعقاب عدوان ٥ حزران / يونيو ١٩٦٧ . ومن أكثر المرافق أهمية وحيوية وأثرا على المدى القريب والبعيد ، التعليم ، حيث قامت سلطات الاحتلال بإلغاء العديد من الكتب ومواد الدراسة ، وتغيير المناهج وتحريفها ، من قبل الدولة صاحبة السيادة الشرعية .

---

[١٥] عبد الوهاب المسيري : الأيدلوجية الصهيونية : دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة ، سلسلة عالم المعرفة ، ٦٠ ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٢) ص ٢٩٥ .

[١٦] عطا محمد صالح زهرة : " الثقافة العربية والتحدي الصهيوني في الأرض المحتلة " ، شؤون عربية ، العدد ٣٣-٣٤ (تشرين الثاني / نوفمبر - كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٣) ، ص ١٤٨ .

[١٧] المصدر نفسه ص ١٤٩ .

وقد وجد فى الأراضى المحتلة ثلاثة أنواع من المدارس العربية ، وذلك تبعا لمسئولية تمويلها المالى والإشراف على إدارتها ليس إلا ، إلا أنها جميعا تطبق مناهج دراسية ونظم امتحانات واحدة من قبل وزارات التربية والتعليم فى الدولة صاحبة السيادة .وهذه الانواع هى [١٨] :

أ. المدارس الحكومية .

ب. المدارس التابعة لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين واليونسكو .

ت. المدارس الخاصة وهى التى تقوم بإدارتها وتمويلها هيئات وجمعيات أو أفراد .

ومع ذلك حاولت سلطات الاحتلال الإسرائيلى استغلال هذه الظاهرة فى تعدد المدارس على هذا النحو ليكون مدخلا لها لمعاملة كل نوع على حدة وتجزئ مناهج الدراسة ، فحاولت فعلا أن تفرض على مدارس الوكالة منهجا خاصا يختلف عن ذلك الذى يدرس فى المدارس الحكومية ، كما حاولت ان تفعل الشئ نفسه مع المدارس الخاصة .

ولا شك أن هذه الإجراءات - وغيرها بطبيعة الحال - يخالف مخالفة صريحة جميع المواثيق الدولية ، وعلى سبيل المثال فإنه مخالف لما ورد فى الفقرة (ج) من المادة السادسة والعشرين فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان التى تنص :

" للأباء الحق الأول فى اختيار نوع تربية أولادهم "

كما أنها مخالفة لنص الفقرة (٣) من المادة (١٣) من الاتفاقية الخاصة بالحقوق الدولية الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى نصها :

" تتعهد الدول الأطراف فى الاتفاقية الحالية باحترام حرية الأباء والأوصياء القانونيين ، عندما يكون ذلك ممكنا ، فى اختيار ما يرونه من مدارس لأطفالهم غير تلك المؤسسة من السلطات العامة ، مما يتمشى مع الحد الأدنى للمستويات التعليمية التى قد تضعها الدولة أو توافق عليها وفى أن يؤمنوا لأطفالهم التعليم الدينى والأخلاقى الذى يتمشى مع معتقداتهم الخاصة " [١٩] .

لكن ما هى المفاهيم الاتجاهات التى حرصت سلطات الاحتلال على تضمينها فى مناهج التعليم فى الأرض المحتلة ؟ هذا هو ما سنحاول الإشارة إليه بإيجاز فيما يلى [٢٠]:

---

[١٨] جامعة الدول العربية : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أحوال التربية والتعليم فى الأراضى المحتلة (القاهرة : [المنظمة] ، ١٩٧١) ص ٩٤ .

[١٩] المصدر نفسه : ص ٩٦ .

[٢٠] نجلاء نصير بشور : تشويه التعليم العربى فى فلسطين المحتلة (بيروت : مركز الأبحاث الفلسطينى ، ١٩٧١) ص ١٤٤ .

أ- اليهود كشعب ودولة :

إن " الشعب " اليهودى كان ولا يزال " أمة ذات كيان " لها كل صفات الأمة وحقوقها . فمن جذور قديمة وحضارة عريقة تفاعلت مع الحضارات السابقة وأفادتها ، إلى تفسخ فى وقت كانت فيه أكثر دول العالم الحديث غير موجودة ، لتبعث لغتها (إحدى صفات الأمة) فى فترة نشوء وانتعاش القوميات الأوروبية فتأتى جزءا من تيار عالمى فى ذلك العصر . أما ارتباطها بالأرض فهو إحدى الصفات الأساسية للأمة أيضاً ، فماذا يشكل الدولة ؟ الشعب والأرض .

لذا يأتى هرتزل بالطريقة التى صورتها الكتب كذروة للحركة القومية اليهودية التى تتوق إلى استقلال أرض صهيون . فالحركة الصهيونية إذن ، حركة استقلالية كانت نتيجة طبيعية للحركة القومية اليهودية التى نشأت بدورها ضمن تيار جارف لحركات قومية فى أوروبا ، مهد النهضة الحضارية الحديثة .

أما الدولة ، فهى حصيلة حرب " استقلال " كانت لليهود منذ القدم وحنوا إليها طوال سنين البعاد حتى استطاعوا تنظيم أنفسهم ليحصلوا عليها ، بقيادة الحركة الصهيونية [٢١] .

الدولة إذن ، هى واقع لا مفر منه ، فهى أولاً : تسير مع اتجاه التاريخ وليس بعكسه ، فالدول تسير فى اتجاه نيل الاستقلال ، على الأقل السياسى ، ، وثانيا هى : دولة قائمة لها مؤسساتها ولها تاريخها الآن .

وغير الوجود الذى لا جدال فيه ، فاليهود كشعب وكدولة متفوقون ، فالشعب اليهودى متفوق ، متفوق بصموده ضد كل دخيل على استقلاله وحضارته ودينه ، وبذكائه فى التجارة والأدب والفن والسياسة ، تفوق على من عاشرهم من الشعوب لا سيما أبناء عمه العرب ، أما دولتهم ، فهى تتفوق على غيرها فى شئ مهم جداً وهو ديموقراطيتها ، وعلى العرب بتقدمها .

ب- العرب :

(١) خارج الدولة : أما الحقائق عن العرب ، فتاريخهم يعطى صورة تبرز فيها الفتن والخلافات على أنواعها : الشخصية والعائلية والقبلية والطائفية ، وهى غالبا ما تؤدى إلى معارك طاحنة بين الفئات المتخالفة . ومن هنا تبرز حكايات القتل والنهب والأعمال اللاأخلاقية . أما حضارتهم فمقتبسة . وهم " شعوب " ممزقة لا يوحدها شئ ، بل وحتى المحاولات الوحدوية فى تاريخهم الحديث كانت فاشلة ولا تعطى مثالاً للوحدة العربية المأمولة ، وحتى لا تعطى دروسا سوى استحالتها وعدم فائدتها للعرب . وبلادهم لا ثروة فيها ولا يطمع فيها أحد . وثورائهم ضد المستعمر تكاد لا تذكر ، فهم شعب لا يحارب إلا نفسه ، ولا يحارب أعداءه ،

---

[٢١] المصدر نفسه : ص ١٤٥ .

خنوع يرضى بالاستغلال والاستعمار ، وهو ليس مثل ابن عمه الشعب اليهودى صلفا متفوقا [٢٢].

(٢) داخل الدولة : أما داخل الدولة ، فالعرب لا يشكلون " القومية الأخرى " فى الدولة ، فالتقسيم للناس كفئات يتم على أساس الأديان وليس على أساس القوميات ، فليس هناك تناقض بين العرب واليهود وإنما هناك وجود لفئات دينية مختلفة ، هناك يهود - سفارديم واشكانزيم ، مسلمون - سنة وشيعة وأحمدية وإسماعيلية ودروز ، وهناك مسيحيون - بروتستانت ، وروم وكاثوليك وموارنة .

وفى هذه الدولة هناك ديمقراطية تامة ، فجميع هذه الفئات تتعايش دون تناقض ، وتسمح الدولة بالتعامل على هذا الأساس .

هذه الحقائق كلها " تتكشف " للطالب العربى إذا ما اعتمد الكتب التى تحت البحث المصدر الوحيد لمعلوماته [٢٣] ...

وقد تعرضت المناهج المدرسية إلى تدخلات سلطات الاحتلال فى محاولة لتحريفها عن تحقيق الأهداف التربوية التى تربط الطلاب بتراثهم الفكرى وحاجات مجتمعهم ، وذلك للوصول إلى أهداف التعليم نفسها المطبقة على الطلبة العرب فى الأراضى المحتلة عام ١٩٤٨ ، فى خلق جيل لا يرتبط بأرضه وتراثه وتضعف فيه روح المقاومة للاحتلال [٢٤] .

واختلفت الإجراءات الإسرائيلية من منطقة لأخرى فى الأراضى المحتلة لأمور اقتضتها استراتيجية السياسة الصهيونية ومراحلها فى تهويد المناطق المحتلة ، وكانت النية لدى السلطات متجهة لتغيير المناهج فى الأراضى المحتلة كلها ، بحجة أن هذه المناهج " تزرع الكراهية فى نفوس اللاجئين " ، فقررت منع الكتب المدرسية التى تصدرها الأقطار العربية (الأردنية والمصرية) ، واستبدالها بتلك الكتب المستخدمة فى المدارس العربية فى إسرائيل ، إلا أن ردود الفعل المحلية أجبرت السلطات الإسرائيلية على إرجاع المناهج العربية (المصرية والأردنية) إلى المناطق المحتلة - عدا القدس - وتشكيل لجان إسرائيلية تولت فحص الكتب الأصلية بعد استبدال أغلفتها وإدخال تعديلات (من حذف وتحريف) [٢٥] تناولت كل ما يتعارض مع أهداف إسرائيل بدعوى أن فيها تهجما على إسرائيل ، أو حثا على مناصبتها العداء ،

---

[٢١] المصدر نفسه .

[٢٢] المصدر نفسه : ص ١٤٦ .

[٢٣] جامعة الدول العربية : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دراسة حول : الأوضاع التعليمية لأبناء فلسطين فى فلسطين فى المناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، [تونس : المنظمة] ، ١٩٧٨ ، ص ٦

[٢٤] المصدر نفسه :

أو غيرها من الدعاوى التى أخذت ذريعة لحذف مواضيع وفقرات وعبارات أفقدت الكتب روحها التربوى والقومى وعملت على التمهيد لقبول الوجود الإسرائيلى وطمس عروبة فلسطين ، وفصم العرى التى تربط الشباب الفلسطينى بوطنه عن طريق حذف كل ما يذكره بماضيه فى كتب الاجتماعيات واللغة والدين الإسلامى ، ثم إضعاف روح المقاومة للاحتلال بحذف القصائد والعبارات ذات الطابع الوطنى القومى فى جميع الكتب [٢٦] .

أما فى الكتب الموجهة إلى أبناء اليهود فى المدارس الإسرائيلية ، فقد عمدت الصهيونية إلى بث الكثير من الأفكار المسمومة ،لعل أخطرها تشويه صورة الأديان السماوية ، والأنبياء غير اليهود ، وعلى سبيل المثال [٢٧]:

يبدأ الصهاينة فى كتبهم المدرسية بالحط من قدر السيد المسيح ، والطعن فى أخلاقياته واتهامه بما يحلو لهم من الصفات المشينة ، فقد جاء فى كتاب الصف السابع من سلسلة كتب تاريخ شعب إسرائيل (طبعة ١٩٧٢) : " فى الحقيقة يجب أن نقول إن رسول المسيحيين هذا اتصف بقدرته على فعل العجائب فقد قام بعمله على ما يرام متحمساً ، مثيرا لقلوب سامعيه ، يعرف كيف يؤثر عليهم ، فمع اليهود سلك كيهودى ، فيردد دائما أنه لم يأت ليكفر بتوراة موسى ، بل جاء ليبشر بمجئ المسيح ، ولكن أمام الغرباء يذم اليهود ، ويقول انه مع مجيئه ألغيت تعاليم موسى ، واستبدل العهد القديم بالعهد الجديد ، ولكى يأسر قلوب عبدة الأصنام ، حررهم المسيح من كافة الوصايا العملية والمعتقدات ، والمبادئ اليهودية التى كانت اليهودية تطالب معتنقيها باتباعها والعمل بها ، ولا سيما احترام السبت وغيره من التعاليم الأخرى " .

أما محمد رسول الله (ﷺ) فقد تناولته الكتب المدرسية بالكثير من الهجوم والتجريح له وللدين الإسلامى بالكلمة مرة وبالصورة مرة أخرى ، فيقولون عنه :

" أنه الغارق فى أحلام اليقظة ، والمحارب ، ومبتدع الدين الجديد ، وأنه أحد أبناء قبيلة قريش الغنية ذات الجاه " . ويقولون فى موضوع أخر : " قد عمد محمد إلى الهجوم على قوافل التجار التى اعتادت أن تسلك طريق مكة بغية سلبها وسرقتها " . " ولكى يجتذب محمد اليهود إليه أمر اتباعه بأن يتوجهوا فى صلاتهم نحو القدس بدل الكعبة ، وأن يصوموا يوم

---

[٢٦] دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٧٤ إلى اجتماع لجنة خبراء لدراسة المناهج والكتب التعليمية المقررة على الطلاب العرب فى الأراضى المحتلة ، وقامت اللجنة بدراسة الكتب المقررة وتحليل محتوياتها لتحديد النصوص والمفاهيم التى أشبعت بها سلطات الاحتلال الكتب المؤلفة للطلبة العرب فى المنطقة المحتلة من فلسطين عام ١٩٤٨ والنصوص والمعانى التى حذفتها أو حرفتها فى الكتب الأردنية والمصرية . أنظر : جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تقرير لجنة خبراء دراسة المناهج والكتب التعليمية المقررة على الطلبة العرب فى الأراضى المحتلة ،[تونس : المنظمة] ، ١٩٧٥) .

[٢٧] جامعة الدول العربية : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دراسة حول الأوضاع التعليمية لأبناء فلسطين فى المناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، ص ٧ .

الغفران ، ولكن بمرور الوقت ، وعندما جوبه بالسخرية من قبل اليهود ، وبعد أن أدرك أنهم يبعدون عنه ، غير موقفه تجاههم ، وأخذ يقسوا عليهم ، فألغى صوم يوم الغفران ، وحدد صوما أخر يستمر شهراً ، كما حول القبلة من القدس إلى مكة " [٢٩] .

واكثر من ذلك فهم يرسمون فى الكتاب صورة لمحمد (ﷺ) يشم الورد بيد ، ويقبض على السيف بيد أخرى ، ، كما يقدمون صورة لمسجد ، مع الجيش الإسلامى الذى يحارب ، وصورة لشعار إسلامى بمثابة سيفين وسطهما هلال ، ويعلق المؤلفان على الصورة بقولهما : " الإسلام دين المحاربين " . ويقول عن الدين الإسلامى : " كان خليطا من الأديان المعروفة فى ذلك الوقت " .

٤- حاجتنا إلى سياسة تربوية عربية عامة لمواجهة إسرائيل .

إن هذه السياسات الاستعمارية التى تتبعها الدولة الصهيونية كصورة من صور التحدى السافر للإنسان العربى ، تتطلب فضلا عن الوعى بها ودراستها - وهو ما حاولنا أن نقوم به بصورة مختصرة - تتطلب تحركاً إيجابيا على الصعيد نفسه ، أولا للكشف عما فى هذه السياسات من افتئات على الحقيقة والتاريخ ، وثانيا لتعرية الصهيونية بيانا لوجهها الاستعمارى القبيح .

ولعل هذا يدعونا إلى التساؤل عما تملكه البلدان العربية من سياسة تربوية عربية عامة تتجه إلى خدمة الأهداف القومية التى فى مقدمتها ما يتصل بالشعب الفلسطينى ، بخاصة وأن قوى الصهيونية والاستعمار والرأسمالية العالمية لا تتجه إلينا بخططها وسياساتها منفودة ، وإنما دائما مجتمعة أو متعاونة ومنسقة ، ولسنا فى حاجة إلى القول ، بأن الجهد العربى الموحد اشد خطراً، وأقرب إلى تحقيق الأهداف المطلوبة من اتخاذه مسارات انفرادية مهما تسلحت بصور الإيمان بالقضية والإخلاص لها قولا وعملا .

ويمكن القول بصورة عامة ، أن ما هو مدون فى السياسات التربوية يبدو أوضح فى دساتير الأقطار العربية نفسها وينعكس أحيانا فى برامج وتشريعات على الحكومات على صور متفاوتة وعلى فترات متباعدة . ومن الطبيعى ان تقتصر الدساتير على الأهداف والأحكام العامة ، وأن تدع تحديد هذه الأهداف وتحديد المسارات الرئيسية لتحقيقها إلى القوانين والتشريعات وإلى برامج الحكومات . وكثيراً ما تأتى السياسات التربوية على هذا المستوى من القوانين والتشريعات والبرامج على خط من التعميم وبصورة متفرقة مجزأة غير متواصلة فى مدتها

---

[٢٩] المصدر نفسه : ص ٤٣ .

ومداها ، وقلما تنتظمها وثيقة تحيط بها ، بله أن تتميز بالشمول والتكامل ، فتحيط بميدان التربية القومية بتمامه وتحقق الترابط بين أجزائه وقطاعاته ، وينظر أن تنتقل من عرض الأهداف إلى تعيين سبل العمل ومساراته وتحديد الإجراءات الرئيسية لتحقيق تلك الأهداف ، ولا هي في الغالب مما تتضح صلته بميادين النشاط الأخرى ، وبالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من حركة المجتمع ، مما ينبغي أن تتميز به السياسات العامة ليتحقق لها الشمول والتكامل على مستوى مجتمعها [٣٠] .

ولكي نكون أكثر تحديداً، فلنتناول قضية مهمة من القضايا التربوية لنرى إلى أي حد وعلى أي وجه تسعى الأقطار العربية بالفعل إلى خدمة القضية الفلسطينية عن طريق التعليم . هذه القضية التربوية التي نعنيها هي قضية المناهج . إن نقدنا للمناهج المطبقة على الطلبة الفلسطينيين في الأقطار العربية ينطلق أساساً من مدى مساهمة هذه المناهج في تكوين الإنسان العربي المؤمن بقضايا أمته وبأهدافها الإنسانية التقدمية ، والقادر على العمل من أجل تحقيق هذه الأهداف ، فبمقدار ما تخدم هذه المناهج قضية بناء مجتمعات عربية حرة وقوية ، فإنها تخدم ، بهذا المقدار ، قضية الشعب الفلسطيني ، وسنحاول فيما يلي بحث الطريقة التي عرضت بها القضية الفلسطينية في مناهج ثلاثة أقطار عربية يقيم فيها أكثر من ثلثي الشعب الفلسطيني وهي الأردن ولبنان وسوريا ، استنادا إلى الدراسة التي أعدها قسم التخطيط التربوي في مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٧٣ [٣١].

وقد قام تحليل مناهج الاجتماعيات على أساس ثلاث مجموعات من المحاور ، تدور المجموعة الأولى حول توضيح طبيعة الصراع وتضم هذه المجموعة أربعة محاور : (أ) تحديد الهوية السياسية العنصرية للحركة الصهيونية ، (ب) المطامع الصهيونية التوسعية ، (ج) الربط بين مصالح الاستعمار والصهيونية ، (د) الإيمان بالوحدة العربية .

فإذا استقرأنا نتيجة دراسة المحور الأول المتعلق بتحديد الهوية السياسية العنصرية للحركة الصهيونية ، نجد أن كتاب التاريخ للصف الخامس الابتدائي في لبنان لا يذكر كلمة صهيونية على الإطلاق وإنما يكتفي باستعمال كلمة يهود أو يهودي . أما الكتب الأردنية فهي لا تستعمل كلمة صهيونية إلا حين لا تجد مفرا من استعمالها ، أما حيث لا توجد هناك ضرورة ملحة ، فيجري استعمال كلمة يهود ويهودية ، ولا تبذل الكتب الأردنية أي جهد للتفريق بين اليهود والصهاينة ، . وعند الحديث عن الصهيونية تختلط الصهيونية ، كحركة سياسية ،

---

[٣٠] محمد أحمد الشريف وآخرون : استراتيجية تطوير التربية العربية (بيروت ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٩) ، ص ١٧١ .

[٣١] نزيه قورة : تعليم الفلسطينيين ، الواقع والمشكلات (بيروت : مركز الأبحاث الفلسطيني ، ١٩٧٥) ، ص ١٠٥ .

باليهودية . ولا تخرج تفسيرات هذه الكتب للحركة الصهيونية عن التفسيرات الدينية المستندة إلى اقتباسات من التوراة ، أما الكتب السورية فتشدد فى أكثر من مكان على تقديم تعريف سياسى عصرى للصهيونية ، مع ربط هذه الحركة بالظروف السياسية والاقتصادية للبلدان التى نشأت فيها الحركة الصهيونية . كذلك تحاول الكتب السورية أن تبين الفرق بين الحركة الصهيونية وبين اليهود كمجموعة دينية .

أما محور المطامع الصهيونية التوسعية فنجد أن الإشارة إلى هذه المطامع مختصرة . وباستثناء فقرة واحدة فى كتاب التربية للصف الثالث الإعدادى فى سورية تشير إلى أن التوسع " ليس حلما فحسب " بل أنه ضرورة حتمية اقتصادية وضرورة بشرية لاستيعاب الملايين الذين تريد استقدامهم إليها " . ولا نجد أى توسع فى شرح المسالة [٣٢] .

وفيما يتعلق بمسألة الربط بين الصهيونية والاستعمار ، نجد أن الكتب اللبنانية لا تقيم أى رابطة بينهما ، كما أنها لا تذكر كلمة استعمار . أما الكتب الأردنية فإن الربط بين الاستعمار والصهيونية يجرى على الأساس التاريخى وحده دون ربط الماضى بالحاضر . وحتى عند ذكر العلاقة التاريخية بين الحركة الصهيونية وبريطانيا ، تقدم الكتب هذا التفسير بعد سبقه بكلمة " ولعل " بريطانيا اعتقدت أنها ستجد فى صداقتها لليهود مبررا ووسيلة للتخلص من وعودها للشريف حسين فى حرية البلاد العربية ووحدتها واستقلالها " . ويوحى هذا الكلام بأن حرية البلاد العربية ووحدتها واستقلالها أمر مرهون بالوعود البريطانية ، وأن المسالة أمام بريطانيا كانت تتلخص فى الاختيار بين صداقة العرب أو صداقة اليهود [٣٣] .

أما فى الكتب السورية فيتحدد الارتباط بين الاستعمار والصهيونية على أساس أن إسرائيل " ليست فى الواقع إلا ركيزة ورأس حربة يستخدمه عندما يشاء للحفاظ على مصالحه الكثيرة فى المنطقة العربية ... ومن هنا كانت مقاومة العرب لإسرائيل مقاومة للاستعمار فى الوقت نفسه " . وفى أكثر من مجال يجرى توضيح هذه العلاقة والرد على الأفكار المغلوطة الشائعة . غير أن مسألة الوجود الاستعمارى فى المنطقة العربية لا يجرى بحثها بأسلوب معمق يتناول جوانب هذا الوجود الاقتصادية والثقافية والسياسية ، وتأثيره على المنطقة فى أحداثها التى تجرى على سطحها .

---

[٣١] المصدر نفسه : ص ١٠٧ .

[٣٢] المصدر نفسه :

ثانيا : دور التعليم العام فى الوطن العربى .

إن الحقيقة الأساسية التى لن نمل تكرارها ، هى أننا نواجه تحديا شرساً ليس على المستوى العسكرى وحده ، وإنما على المستوى الحضارى ، وما الناحية العسكرية إلا أحد جوانبه ، وإننا لا نواجه دولة واحدة ، وإنما مجموعة من القوى الاستعمارية الشرسة التى تتخفى وراء هذه الدولة وتمدها بكل مقومات الوجود واستمرار الوجود ، ولذلك فإن الوسيلة الرئيسية لمواجهة التحدى إنما هى بناء قوة ذاتية تكون قادرة على إفراز مقدرة عسكرية تستطيع التغلب على هذا التحدى وتكون لها ركائزها الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية .

ومن هنا فإن دراستنا لدور التعليم العام فى الوطن العربى فى مواجهة التحدى الإسرائيلى ، سوف تكون دراسة لخصائص وأهداف يجب أن تتوافر فى هذا التعليم ، حتى يستطيع بالفعل أن يمد المجتمع العربى بالمادة الأولية الحقيقة التى تقبل التحدى وتتجاوزه ، ألا وهى الإنسان العربى الجديد المنشود ، ذلك الإنسان الذى يستطيع أن يميز بين الأصدقاء والأعداء ، والذى يعمر الإيمان بالله قلبه ، والذى يتسلح بعلوم العصر والذى لا يكف عن العمل والإنتاج ، والذى لا يكتفى بان يقف ليقول للناس : كان آبائى كذا وكذا ، وإنما يقف ليقول : ها أنا ذا [٣٤] ...

فما هى إذن أهم تلك الخصائص والأهداف ؟ هذا هو ما سنحاول بيانه فيما يلى من صفحات ...

١ - العقيدة الدينية :

إن عملية الخلط بين المجالين الدينى والسياسى تكاد تكون مسألة حتمية بالنسبة للصهاينة ، فالصهيونية كانت - فى البدء تفتقر إلى الجماهير وكانت الجماهير اليهودية - وبخاصة فى شرق أوروبا عميقة الإيمان بالدين ، ولذا لجأت الصهيونية إلى تبنى الرموز والأفكار الدينية المألوفة لدى الجماهير ، وحولتها إلى رموز وأفكار قومية . وقد وجد مؤسسو الحركة الصهيونية أن الصياغة شبه الدينية للبرنامج الصهيونى ستجعله محل قبول من الجميع ، خصوصا أن التركيب الاجتماعى والعرقى والحضارى والثقافى ليهود أوروبا كان - ولا يزال - مركبا ن فكان هناك يهود مندمجون ويهود منبوذون ، ويهود أثرياء وآخرون فقراء ويهود متدينون وآخرون ملحدون ويهود إصلاحيون وآخرون أرثوذكس وهناك من كان يود الهجرة من

---

[٣٤] على ، التربية اليهودية الصهيونية ، المقدمة .

وطنه وآخرون يؤثرون البقاء فيه ، ولم يكن من الممكن تجنيد كل هؤلاء تحت لواء الأيديولوجية الصهيونية إلا عن طريق الإبقاء على أعلى مستوى من التجريد والإبهام وعدم التحديد الذى يسمح بكثير من التفسيرات أو المضامين المختلفة ، الدينية واللادينية التى تدخل على البنية الفكرية دون أن تغير أو تعدل فيها بشكل جوهرى [٣٥] .

وقد تنبه كثير من الصهاينة لهذا الجانب فى الأيديولوجية الصهيونية فالحاخام " لانداو " يشير إلى أن البرنامج الصهيونى يدور حول فكرة واحدة " وكل القيم الأخرى إن هى إلا أداة فى هذا المنطلق ، الأمة " . والمتتبع لكتابات كبار المفكرين الصهاينة ، يلمس بوضوح كيف ضرب هؤلاء على وتر الدين ، فـ " مايربار ايلان " - مثلاً - يؤكد أنه ليس هناك بديل عن التوراة كوسيلة يمكن أن تنجح فى جمع وتوحيد جميع مذاهب وفئات اليهود فى دولة واحدة [٣٦] ، ويسير " يحييل ميخائيل بينس " فى الاتجاه نفسه فينبه إلى أن القومية التى يمثلها ، هى تلك القومية التى روحها التوراة ، حياتها مستمدة من تعاليم التوراة وكذلك من وصاياها [٣٧] .

وقد وقف الحاخام " شلومو شوفوف " من الولايات المتحدة الأمريكية فى المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين ينتقد التعليم القائم فى إسرائيل ووجه النقد عنده ، أن هذا التعليم علمانى " وليس هو التربية التقليدية اليهودية ، وهو خطر كبير ، لأن اليهود لا يستطيعون أن يضمنوا به استمرار الكيان الإسرائيلى " ، وهو يشير إلى أن اليهود كان لهم مفهوم خاص عن جوهر التربية وأهدافها ، إن فكرة التربية لدى اليهود تختلف عما كان لليونان فى العهد القديم ، وللرومان وللشعوب الأخرى خلال التاريخ ، لقد ربى اليونان والرومان أبناءهم أيضا تربية جسمانية ليستطيعوا ركوب الخيل ، (وكذلك بناتهم) وتحمل الشدائد والرقص ، أى أن التركيز كان على الناحية الجسمية ،وهذه الناحية لم يكن لها مكان مهم فى التربية اليهودية على الرغم من إيمانهم بالصحة الجسمانية والاحتفاظ بعظام الموتى [٣٨].

تلك هى صورة من صور التحدى الإسرائيلى ... فماذا يجب علينا إذن أن نفعل تجاه هذا ؟ هل يمكن أن نتردد لحظة واحدة فى العمل بكل ما نستطيع على تشبيع تعليمنا بعقيدتنا الدينية ، إسلامية كانت أم مسيحية ؟ إننا ندرك بطبيعة الحال أننا يجب أن نستلهم عقيدتنا الدينية بغض النظر عن الصهيونية وغيرها - إذ لو لم تكن الصهيونية ، فلابد أيضا من أن نسير على

---

[٣٥] المسيرى : الأيديولوجية الصهيونية : دراسة حالة فى علم الاجتماع المعرفة ، القسم ١ ، ص ٢٢٦ .

[٣٦] على : المصدر نفسه : ص ٤٩ .

[٣٧] أسعد زروق : قضايا الدين والمجتمع فى إسرائيل (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧١) ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

[٣٨] على : المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

الطريق الدينى القويم - لكننا نقول هنا : إننا إضافة إلى هذا الواجب الأصلى ، فلابد من زيادة الجرعة لأن التحدى القائم يستغل المشاعر الدينية فى سبيل تحقيق أهدافه السياسية .

ولعله من المفيد فى هذا المقام ، أن نسوق مثالا واحدا يتعلق بقطر عربى عزيز هو الجزائر لنرى كيف أن الجهود الوطنية التعليمية فيه فى عهد الاحتلال الفرنسى بتمسكه بالأسس الدينية الإسلامية وتربية المواطنين الجزائريين على هدى قيمها ، قد مكنه من المحافظة على عروبة الجزائر وإضافة قوة لا يستهان بها إلى القوة العربية .

لقد كانت مقاومة جمعية العلماء لأهداف الاحتلال الفرنسى ضد الإسلام ، تتمثل فيما أنشأته من مدارس ومساجد ونواد لنشر التعليم العربى الدينى ، وبعث الثقافة العربية الإسلامية ، ومقاومة جهود المنظمات التبشيرية الرامية إلى القضاء على الإسلام ، لأن الفرنسيين كانوا يعتقدون أن (القرآن) هو سبب السخط الشعبى العام عليهم فى الجزائر . وقد أكد أحد النواب فى البرلمان الفرنسى أن (القرآن) هو الذى يحرض المسلمين " الجزائريين " على (اذايـة) الفرنسى ، ومن هنا قرروا القضاء على وجود القرآن والدين الذى جاء به [٣٩] .

ومن حسن الحظ أن استراتيجية التربية العربية قد تنبهت إلى هذا المبدأ المهم فأولته عناية واضحة ، إذ نادت بضرورة أن تكون التربية العربية قائمة على (التربية للإيمان) ويشمل هذا المبدأ بين دلالاته ما يأتى [٤٠]:-

- عناية التربية بترسيخ الإيمان بالله فى نفوس المتعلمين ، وبالإسلام خاتم رسالات السماء ، وبالديانات الأخرى لأتباعها من أهل الكتاب ، واعتبار الدين من أخص ما يتميز به الإنسان .

- عناية التربية بما أقره الدين من مكانة الإنسان فى الوجود وفى المجتمع ، ومن اعتماده على هدى عقله وهدى ضميره فى سعيه المتواصل نحو الكمال .

- عناية التربية بتحقيق التوازن فى شخصية الإنسان من حيث حاجات الجسم وحاجات الروح والفكر والعمل والحاضر والمستقبل .

- عناية التربية بما اقره الدين من القيم الإنسانية ، وتنشئة المتعلمين على الأخلاق الفاضلة ، وعلى المحبة والتعاون ، والسعى فى خير المجتمع ، ومن أجل تماسكه وقوته وتمكينه من البناء والتعمير .

- عناية التربية بالإخاء الإنسانى وبالدعوة إلى التعاون بين الناس على الحق والخير والصلاح .

---

[٣٩] تركى رابح : التعليم القومى والشخصية الوطنية (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٥) ، ص ٣٢٨ .

[٤٠] الشريف وآخرون : استراتيجية تطوير التربية العربية ، ص ٢٢٧ .

ومن الاعتبارات الأساسية التى تسند هذا المبدأ ما يأتى :-

- الحاجة الأصيلة فى النفس الإنسانية إلى العقيدة الدينية ، واعتبار أن الإيمان لازم فى حياة الإنسان ، ومصدر للقوة والاطمئنان ، مما تؤكده دراسات نفسية وفلسفية ، ودراسات فى تاريخ الحضارات وتطورها .

- ما تشكو منه الحضارة المعاصرة من المساوئ والعيوب الناتجة عن ضعف التمسك بالقيم الإنسانية وبفضائل الأخلاق ، ومن بعض التبذل والتحلل والانغماس فى الشهوات مما يصدر فى الغالب من ضعف فى العقيدة الدينية ونقص النوازع إلى الإيمان .

- ما يشكو منه المجتمع العربى من بعض مظاهر الضعف الأخلاقى وبعض مظاهر الضعف فى الروح المعنوية ، مما قد ينسب بعضه إلى التهاون فى أمور الدين والتقصير فى القيام بما يحض عليه من الإخاء والتماسك الاجتماعى ، ومن مكارم الأخلاق .

كذلك فإن المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب (١٩٦٨) أكد على هذا الجانب ، إذ قال : " تقوم التربية الدينية بدور بالغ الأهمية فى المرحلة الثانوية خاصة فى هذا العصر الذى يتعرض فيه الشاب لكثير من التيارات الإلحادية والانحرافات السلوكية ، يقعون فريسة للتضليل والدعاية الأجنبية الدخيلة على ثقافتنا العربية .

فالتربية الدينية هى القوة التى لها أثرها الفعال فى حياة الطالب والمجتمع ، وهى السبيل الذى يحمى من الزلل ويصون من الانحراف ، وبها تتفتح معالم الحق والفضيلة ويفهم معنى الخير والشر، ويقوى إيمان الطالب ، وينمو وعيه الدينى والاجتماعى ويقدر الحق والواجب ويثق بنفسه ووطنه ويبلغ منه الوازع الدينى والإرهاف الروحى مما يحمله على التضحية فى سبيل العقيدة الإسلامية الخالصة والوطن العربى ، وتقوى فى نفسه الفضائل الحماسية التى تشبع رغائبه كالنجدة ، والإباء ، والجهاد ، ومناهضة الاستعمار والإلحاد والصهيونية " [٤١] .

٢- القومية :

فى عام ١٨٨١ ، وضع أحد اليهود الألمان واسمه " ليوبنسكر " كتابا أسمه التحرر الذاتى وقد صور فيه ما كان يعيشه يهود أوروبا من حياة ملؤها المذلة والاضطهاد ، فهو يقول على سبيل المثال : " نحن لا نعد أمة بين الأمم الأخرى . ليس لنا صوت بين الشعوب حتى فى الأعمال التى تخصنا فأرض آبائنا أرض أجنبية عنا ، ووحدتنا تشرد ، وتضامننا عدو لنا ،

---

[٤١] جامعة الدول العربية : الإدارة الثقافية ، المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب (الكويت :[الإدارة] ، ١٩٦٨) ، ص ٦٤ .

وسلاحنا إذلال ، ودفاعنا هروب ، وابتكاراتنا تقليد غيرنا ، ومستقبلنا لا يعدو غدنـــا ، أى دور ذليل يقوم به شعب كان له ذات يوم أبطال من المكابيين " [٤٢] .

وكان بنسكر هذا نموذجا لليهودى الوطنى المنصهر ، مـــن أعضـــاء البرجوازيـــة اليهودية فى روسيا . وكان هذا الكتاب بمثابة دعوة منه لأغنياء اليهود فى أوروبا الغربية لتوحيد مشروعات الاستيطان اليهودية وضرورة إيجاد " هيئة إدارية يهودية " تتفق على اختيار منطقـــة يستوطنها اليهود المهاجرون ...

هذه النزعة " القومية " ، بلغت ذروتها على يد " هرتزل " الذى عبر عن فكرته لقوله : " إن مشكلة اليهود ليست دينية واجتماعية ، بل هى مشكلة قومية . ومن المحتم أن تجـــد حـــلا قوميا لجماهير اليهود التى لا ترغب فى الاندماج ، أو لا تستطيعه ... إن إعادة الشعب اليـــهودى إلى أرضه ودولته هى وحدها التى تجعله واقفا على قدم المساواة مع الشعوب الأخرى وتضـــع حدا نهائيا لشتات اليهود " [٤٣] .

ومن هنا نجد أن الدولة الصهيونية الحالية تصر على أنـــها ليســـت قـــاصرة علـــى مواطنيها فحسب وإنما هى دولة للشعب اليهودى بأسره داخل حدودها وخارجها ، ومما له دلالته أن بيان إعلان قيام الدولة الصهيونية (عام ١٩٤٨) قد تم عن طريق مجلس قومى يتحدث باسم كل اليهود سواء فى فلسطين أم خارجها . وبن غريون نفسه - فى عدد آب/أغســـطس ١٩٦٢ من جويش فرنتير - وصف إسرائيل بأنها " دولة الشعب اليهودى كله " [٤٤] .

وقد أصدرت الدولة الصهيونية قوانين كثيرة وأقامت هيئات مختلفة بـــهدف ترجمـــة مفهوم الشعب اليهودى إلى واقع قائم . ومن أهم هذه القوانين قانون العودة الذى يمنـــح جميـــع اليهود حق مغادرة مسقط رأسهم و " العودة " إلى وطنهم القومى . وتعمل المنظمـــة اليهوديـــة العالمية على تكريس الوحدة اليهودية دون أى مراعاة للحدود الوطنية للدول المختلفة . ويحـــدد " ميثاق " المنظمة مهمتها بأنها " لم شمل المنفيين فى أرض إسرائيل التاريخية ، وتدعيم وحـــدة الشعب اليهودى " .

ولقد أكد " مايير بار ايلان " أن التقليد والدين بالنسبة لليهود ، همـــا كاللغـــة والأدب بالنسبة لغيرهم : " وإذا كان الأمريكيون على حق عندما يقولون إذ شب أطفالـــهم دون معرفـــة اللغة الإنكليزية ، يتوقفون عن حب شعبهم ، ويفقدون الرغبة فى الدفاع عن بلادهم ، فنحن أيضا

---

[٤٢] أ.ن سعد : " ملاحظات أولية حول أيدلوجية الصهيونية من حيث نشأتها وأصولها المجتمعية " ، شئون فلسطينية (آب / أغسطس ١٩٧٠) ، ص ١١ .

(٤٣) ألن تيلور : تاريخ الحركة الصهيونية ، ترجمة بسام أبو غزالة (بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٦) ، ص ١٦ .

[٤٤] المسيرى ، الأيدلوجية الصهيونية : دراسة حالة فى علم اجتماع المعرفة ، القسم ٢ ، ص ٧ .

على حق فيما يتعلق بديننا وتراثنا لكى لا يشب أطفالنا وهم خالون من الشعور القومى والدينى ، فيقطعوا الصلة التى تربطهم بالحياة اليهودية وينظرون إلى أرض إسرائيل كبلد لا يختلف عن الأغيار " [٤٤] .

هذا إذن مظهر أخر من مظاهر التحدى الإسرائيلى الذى يقتضى منا النظر بعين الاعتبار فى أهمية تأكيد الروح القومية فى تعليمنا ، وبخاصة عن طريق المناهج الدراسية ، دون أى خوف - مما يظن البعض خطأ - من تعارض بين الدعوة إلى القومية العربية والتشبث بالنزعة الدينية الإسلامية . ونحب فى هذا المقام أن نسوق عددا من الأسس التى ينبغى أن تراعى فى مناهج التعليم فى الوطن العربى خدمة للأهداف العربية فى مقاومة التحدى الصهيونى :

- تقوم المناهج على أساس دراسة الواقع العربى من النواحى الطبيعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية وغيرها ، وإبراز وحدة الأمة العربية كواقع وكهدف ووسيلة فى العصر الحديث ، وذلك كأساس لقيام دولة عربية كبرى ، ذات أثر فعال فى تقدم العرب ومنعتها ، وحسن مساهمتهم فى السياسة والحضارة العالميتين .
- التراث العربى الإسلامى من أبرز مقومات القومية العربية لإسهامه فى بناء الحضارة الإنسانية ولذا وجهت العناية بتاريخ هذا التراث وإحياء قيمه الإنسانية فى جوانبه المتعددة كالدين واللغة العربية والتاريخ العربى والعلوم الطبيعية والتجريبية والفنون والفلسفة ، كما وجب حسن الاصطفاء من هذا التراث وربط السياسة بالمستوى الثقافى العالمى فى ميادين الفكر والعلم والفن ليتم التفاعل بين الفكر العربى والفكر العالمى المعاصر .
- أن تكون اللغة العربية الفصيحة لغة التدريس لجميع مواد المناهج المدرسية فى مختلف المراحل ، وأن تستقيم على ألسنة التلاميذ والمعلمين نطقا وكتابة ، وأن يتعمق الإيمان بدورها الكبير فى حفظ التراث الحضارى والوجود القومى ، وأن تبرز خصائصها على استيعاب العلوم والمعارف مهما تشبعت أو اتسعت .
- العناية بتدريس التاريخ العربى والإسلامى وما يشتمل عليه من سير ونظم واتجاهات دراسة تحليلية تبرز البطولة العربية والفضائل العربية ودور العرب فى الأحداث الإنسانية الكبرى ، وتوضح سياسة العرب فى القضايا العالمية القومية ، على أن ينظر إليه من زاوية إسهام الشعب والفرد فيه معاً ، يمثل خطا حضاريا واعيا فى مجرى التاريخ الإنسانى .

---

[٤٤] مايرباير ايلان : " أى نوع من الحياة علينا أن نخلق فى إسرائيل " فى : الفكرة الصهيونية ، النصوص الأساسية ، ص ٤٥٤ .

- الاهتمام بجغرافية الوطن العربى وبيان التشابه الطبيعى والمناخى والجيولوجى بين أجزائه ، وكذلك بتكامل الثروات الحيوانية والنباتية والمعدنية والنفطية والمصالح الاقتصادية والخبرة البشرية فيه .
- تقوية إرادة الناشئة وحفزها على النضال للقضاء على عوامل التفسخ والتجزئة ، ومحاربة الدعوات الإقليمية والقبلية والطائفية والعشائرية ، وصهرها فى بوتقة القومية العربية ، والعمل على إقامة كيان سياسى عربى موحد ، ومحاربة الاستعمار بكل أشكاله القديمة والحديثة ، ومحاربة الصهيونية ، وتحرير فلسطين ، واسترداد الأجزاء المغتصبة من الوطن العربى ، ومحاربة الاتجاهات الانفصالية فيه .
- أن تكون تربية المواطن العربى تربية قومية تعتمد على فهمها فهما صحيحا لحقيقة العدو وأوضاعه وأطماعه ومخططاته ، والدور الذى يقوم به فى المنطقة العربية ، وما يجب أن يأخذ المواطن العربى به نفسه لمواجهة هذا الخطر . وما يقتضى أن تشمل المناهج عامة والمواد الاجتماعية بخاصة موضوعات تتعلق بحقيقة الخطر وأبعاده ليعيد المواطن العربى نفسه على أساس من الواقع والعلم .

وقد تبنت استراتيجية تطوير التربية العربية المبدأ القومى فى التربية ، مؤكدة أنه يشمل بين دلالاته [٤٦] :

- أن التربية ذات وظيفة اجتماعية تتفاعل مع مجتمعها تأثراً به وتأثيراً فيه وتعمل على خيره وتقدمه .
- إن التربية ذات انتماء قومى تتأثر بالخصائص الحضارية فى مجتمعها وعليها أن تتمثلها وتستوعبها فى خير صورها ، وأن تعمل على تطورها ، فتعمق الوعى بها بالمساهمة فى تحقيق أهدافها ، ويصدق ذلك على التربية العربية الخاصة .
- إن من أهداف التربية ووظائفها إعداد المواطن الملتزم نحو مجتمعه ، المتمثل لشخصيته القومية فى نقائها وصفائها ، العامل على الوفاء بمطالبها .
- إن الولاء للمجتمعات المحلية والقطرية ، إنما يكون على خير حالاته إذا كان فى إطار قومى شامل ، فلا تنشأ التناقضات بينهما ، وإنما يتكاملان فى وحدة قائمة على التنوع .
- إن العمل التربوى ذو أبعاد قومية ، وإنما يكون على خير حالاته من الكفاية والجدوى حينما يقوم على أساس جهود قومية شاملة تعتمد على التعاون والتكافل .

---

[٤٦] الشريف وآخرون : استراتيجية تطوير التربية العربية ، ص ١١٨ .

- إن تفاعل الشعوب بعضها مع بعض وتعاونها فى سبيل السلام القائم على العدل لا يعنى ذوبان قوميتها وإضعافها ، بل يعنى تعزيزها وإتاحة فرص أرحب أمامها للنمو والإسهام فى تطوير الحضارة الإنسانية بما تملك من خصائص مميزة وقدرات خلاقة . وللتربية دور كبير فى تحقيق متضمنات هذا التفاعل فى شخصية المواطن العربى ، فهو إذ يلتزم بأهداف أمته ومصالحها ، يعى مطالب الإنسانية والمصالح المشتركة ، وفى تأكيد الجوانب الإنسانية فى القومية فكرا وتطبيقاً مما يحقق ذلك .

إن المهمات القومية للتربية العربية من الضخامة والأهمية بحيث يتعذر تحقيقها بصورة مجزأة وعلى النطاق القطرى ، فهى تستدعى العمل العربى الموحد ويزيد من إلحاح الحاجة إلى ذلك ، تباين المستويات فى الأنظمة التربوية العربية ، وتباين الإمكانات المتوافرة سواء من حيث الكفاءات أم من حيث الموارد المالية .

٣- التنمية .

لقد روج الاستعمار طويلاً لفكرة التفوق العنصرى ، وكان بهذا يضع مبررا أساسيا لصرفنا عن الأخذ بأسباب التقدم . من وجهة نظره ، كان هذا أمرا معقولاً ومقبولاً ، ولكن مما يؤسف حقاً أن بعضا من أبناء شعوبنا قد صدق تلك المزاعم وروج لها زمنا غير قصير . ولقد كان منطق أصحاب ذلك الشعار سقيماً ، ولم يكن له من دعامة غير سلاح القوة والبطش ورداء العلم المزيف . برروا التخلف بالتخلف ، أى أنهم فسروا التخلف الحضارى للشعوب المستعمرة بالتخلف فى القدرات العقلية ، وحصروا أدلتهم فى نطاق ضيق جداً من التاريخ البشرى ، وفى نطاق أضيق كثيراً من حياة البشر على الأرض . ولكن التاريخ الإنسانى - وما قبل التاريخ - أرحب من تلك الحقيقة القصيرة ، وحجته أقوى . لقد كان كثير من المجتمعات النامية اليوم فى القمة الحضارية عندما كانت البلاد المتقدمة اليوم فى غاية التخلف ، ولعل أوضح الأمثلة على ذلك هو مجتمع الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام [٤٧] .

ومن المؤكد أن الوطن العربى يستحيل عليه أن يواجه صور التحدى الإسرائيلى المختلفة إذا لم يستطع أن يتجاوز حالة التخلف التى تشيع بوضوح فى كثير من أقطاره وفى كثير من جوانبه ، ومن أخطر الأمور أن نتصور أن مجرد " اليسر المالى " يعنى حدوث التنمية ، أو حتى النمو . إن المطلوب هو تنمية القدرات العربية الذاتية ، فهى وحدها السبيل إلى إيجاد القرار العربى الذاتى .

---

[٤٧] سعيد إسماعيل على وزينب حسن : دراسات فى اجتماعيات التربية (القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٠) ، الفصل الخامس بـ : من التخلف إلى التبعية .

وفى إطار التجارب التى مرت بين الأقطار العربية خلال العقدين الماضين ، بـوزت منطلقات جديدة لتصحيح مسيرة التنمية العربية واستراتيجيتها ، كما برزت لكثير من دول العالم الثالث بصورة تتفاوت مع ظروفها المحلية وبيئاتها الحضارية ، وأهم هذه المنطلقـــات للتنميـــة العربية المنشودة [٤٨]:

أ- إن كسر حلقة التخلف وإحداث تنمية حقيقية شاملة لا يتـــأتى مـــن خـــلال إقامـــة مشروعات هنا وهناك ، وإنما تقوم على تصور مستقبلى لتجديد حضـــارى متكـــامل لمقومات الحيوية فى مكونات هذا الوطن وفى تفـــاعل مـــوارده الطبيعيـــة والماديـــة والبشرية ، ولن يتأسس هذا الانبعاث الحضارى إلا على ركيزة الأصالة المتجـــددة ، والهوية الواضحة للوطن العربى فى الحضارة المعاصرة وتياراتها المتدافعة ، وهـــذا المنطلق يختلف عن اتجاه " التحديث " الذى يستمد مكونات نموه مـــن اتبـــاع أنمـــاط حضارية أخرى ذات أصول وتصورات يختلف عن مثيلاتها فى الواقع العربى اختلافا نوعيا .

ب- إن محور هذا التجديد الحضارى هو التركيز على تنمية البشر وما يتاح لـــهم مـــن مجالات لإشباع احتياجاتهم المادية والمعنوية والروحية ، وما يتاح لهم من مصـــادر المعرفة والخبرة والدراية لتكوين القاعدة العلمية التكنولوجية ، وما يقوم به المجتمـــع من تنظيمات تربط بينهم من علاقات ترسخ عوامل الانتماء ، توفير مقومات العدالـــة الاجتماعية بما يحقق تكافؤ الفرص فى الاستمتاع بثمرات الرفاه الاجتماعى ، وفـــى تحمل المسؤوليات والأعباء والتضحيات ، ركيزة أساسية فى إرساء النظام الاجتماعى الكفء .

ج- إفساح المجال للطاقات المبدعة الخلاقة فى مختلف نشاطات الفكر والجهد الإنســـانى وتشجيعها للإسهام فى تطوير الحياة على الأرض العربية ، ويرتبط بهذا فتـــح بـــاب الاجتهاد على مصراعيه دون تخوف من التجريب والتجديد الذى يستهدف تحريـــك الواقع فى مختلف مؤسساته وصيغه ، دون استسلام للمألوف والتعصب لـــه ، كمـــا يرتبط بذلك التحرر من عقد الاتباع لما تعلمناه أو نعلمه ، مما هو مستمد من معارف وخبرات الدول الصناعية المتقدمة وبخاصة فى مجال العلوم الاجتماعية ، اقتصـــاداً واجتماعاً وتربية وتخطيطاً ، إلى غير ذلك من مجالات هذه العلوم ، ذلك أن معظـــم قوانينها مستمدة من خبرة مجتمعات لا تتماثل حضارياً ، ولا يمكن أن تكرر تجربتها

---

[٤٨] حامد عمار : دور التعليم العالى فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، " فى : جامعة الدول العربية ، المنظمـــة العربيـــة للتربيـــة والثقافة والعلوم ، التعليم العالى والتنمية فى الوطن العربى (تونس : [المنظمة] ، ١٩٨١ ، ص ٩٠ .

فى ظروفنا . وينطبق هذا على مجال التكنولوجيا وتطبيقاتها حيث يقتضى الأمر اختيار التكنولوجيا المناسبة وتطويعها لمقتضيات التنمية العربية وأبعادها .

د- قيام التنمية فى قاعدتها الأساسية على الموارد والطاقات الذاتية بما يضمن إطراد معدلاتها وآثارها دون انتكاسات أو اختناقات نتيجة الاعتماد على الموارد الأجنبية ، هذا يعنى تحرر مسالك التنمية من الضغوط الخارجية . وحين نتحدث عن التنمية الذاتية والاعتماد على النفس واتساقها ، وهو ما يعرف فى أدبيات التنمية فى العالم الثالث باسم الاعتماد الاجتماعى على النفس ، فهذا يرسب فى قيم المجتمعات العربية ثقة فى جهودها ومحاولاتها الواعية وتقويمها الذاتى لنشاطها البشرى دون عقد المقارنة أو اختلاف الحلول مع المجتمعات الصناعية المتقدمة .

وحتى يمكن للتعليم العام فى البلدان العربية أن يقوم بدوره المأمول فيه بالنسبة للتنمية بهذا المنظور الحضارى فلا بد مما يلى [١٩] :

- ضرورة تحديد أهداف التخطيط التربوى فى ضوء أهداف خطط التنمية الشاملة على أساس ما تستهدفه من معدلات فى زيادة الإنتاج فى مختلف قطاعات النشاط الاقتصادى ، وما تضعه من أهداف فى مجال الخدمات ، وحجم العمالة وتوزيع الدخول .
- التقدير لاحتياجات المجتمع من القوى العاملة المدرجة على أساس التنبؤ بهذه الاحتياجات فى المدى القريب والبعيد ، من حيث تحديد أنواع المهارات المطلوبة ومستوياتها فى الهيكل الوظيفى ، وترجمة هذه المطالب إلى مستويات تعليمية وتوزيع لإعداد المتعلمين .
- ضرورة مواجهة مسؤولية توفير الفرص التعليمية للأعداد المتزايدة من الأطفال فى سن الإلزام بحيث تبلغ مستوى الدول التى قطعت شوطاً كبيراً لتحقيق هذه الغاية المتزايدة من الاستيعاب ، فى أسرع وقت ممكن . أما الدول التى لن يتحقق لها ذلك عاجلاً ، فينبغى أن تبذل جميع الجهود الممكنة لتحقيق هذه الغاية .
- إتاحة المزيد من الفرص المتكاملة لتعليم البنت وبخاصة فى المرحلة الأولى ، وتوفير جميع الحوافز الإيجابية التى تدفعها إلى الحرص على الاستمرار فى التعليم . وإذا كانت الفرص المتكافئة لتعليم البنين والبنات فى المرحلة الأولى ضرورة تستحق

---

[١٩] جامعة الدول العربية : الإدارة الثقافية ، المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب ، ص ١٤٠ .

أولوية فى المخططات التربوية ، فإن هذا التكافؤ قاعدة ينبغى أن تطبق فى مراحل التعليم الأخرى ، قدر ما تسمح به الظروف .

- ضرورة اشتمال الخطة على توفير فرص الرعاية التربوية للأطفال قبل سن الإلزام وفاء بحاجات الطفولة وتيسيراً للمرأة العاملة ، وكذا العناية فى التخطيط لغير الأسوياء .
- العناية بتنظيم هياكل التعليم وأنواعه ومناهجه بحيث تتوافر الأعداد التى تتطلبها مجالات النشاط الاقتصادى والاجتماعى من أصحاب المهارات الفنية المتوسطة ، وضرورة إيجاد الحوافز المادية والاجتماعية التى تضمن إقبال الطلاب واستمرارهم فى هذا النوع من الدراسة .
- مراعاة حركة الهجرة السكانية من الريف إلى المدينة وقيام التجمعات السكانية ،الجديدة فى توفير وتوزيع الخدمات التعليمية اللازمة لهذه الفئات من السكان . وفى حالة البدو الرحل ، تبذل الجهود لاستكشاف الوسائل التعليمية المناسبة لتعليمهم حتى يتم توطينهم بصورة نهائية .
- الاستمرار فى دفع الاتجاه نحو التوسع فى التعليم العلمى والتكنولوجى فى مختلف مستويات التعليم اللاحق للمرحلة الإلزامية ، على ألا يؤدى ذلك إلى التهوين من شأن الدراسات النظرية .
- تقرير الجوانب العملية وخبرات العمل الحية ، المستمدة من مناشط الزراعة والصناعة والحرف كجزء أساسى من مناهج التعليم فى جميع مراحله .
- ضرورة الالتفات إلى أن الأخذ بمنهج تخطيط التربية على أساس من سد احتياجات المجتمع من القوى العاملة ذات المهارات المعينة ، ليس معناه استغراق جميع أهداف التخطيط التربوى الذى ينبغى أن يلتفت فى الوقت نفسه إلى تكوين المواطن والإنسان .
- وجوب إضافة مواقع العمل الفعلية فى الصناعة والزراعة والتجارة والخدمات إلى المصادر المألوفة من المدارس والمعاهد والكليات باعتبار مواقع العمل مجالات للتعليم والتدريب ، وأن توافر خبرات حية قد يؤدى توفيرها فى المدرسة كثيراً من الجهد والمال .

٤- العلمية

العلم والتكنولوجيا هما من العوامل التى يشار إليها من حيث أهميتها مراراً فى الصراع العربى - الإسرائيلى ، فللعلم وللتكنولوجيا على سبيل المثال تأثير واضح على أوجه

العمليات العسكرية كافة ، من انتقاء الأعتدة إلى صيانتها واستعمالها . وهناك مثال بارز لاستعمال التكنولوجيا فى المجال الإستراتيجى والتكتيكى فى الحروب ، وهو استخدام المصريين للماء فى جرف طبقات الرمال الواقية على خط بارليف فى حرب تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣[٤٠].

ومن الواضح أيضاً أن للعلم والتكنولوجيا اتصالا مباشراً بالإنتاج الصناعى ، وفى العقود الثلاثة الأخيرة ازداد الإنتاج الصناعى فى البلاد العربية وإسرائيل ، لكن هنالك فارقاً واضحا بين إنتاج صناعى يعتمد على مشاريع منجزة وبين إنتاج ينبع من قدرات تقنية محلية . وإذا كانت إسرائيل تعتمد - كما هو معروف - على الولايات المتحدة الأمريكية فى مجالى الأسلحة والدعم المالى ، لكن النقطة الأهم ليست مدى استقلالية إسرائيل عن الولايات المتحدة الأمريكية ، وإنما قدرة إسرائيل على استيعاب الأعتدة العسكرية واستعمالها بشكل فعال .

" ولا جدال أن الأقطار العربية تحصل على أسلحة شرقية وغربية ، ولكن النقص هو التخصص العالى والتقنى الذى يسمح بتكييف هذه المعدات وتغييرها لكى تتماشى مع أنظمة عسكرية جديدة . وقد قال مرة أحد وزراء الدفاع العرب أن سلاح بلده الجوى لا يمتلك القدرة التقنية على تغيير نظام الإشارات صديق / عدو على متن الطائرات المقاتلة [٤١] " .

إن هذه الحقائق لا بد أن تستحث خطانا نحو التنفيذ الفعلى لمبدأ التربية للعلم ، فهو على الرغم من تبنى استراتيجية تطوير التربية العربية له وإبرازه ، إلا أنه ما يزال إلى حد كبير حبيس الصفحات التى كتب عليها ، وأسير العبارات الجميلة التى كتب بها . إن هذا المبدأ يشمل بين دلالاته [٤٢] :

- أن تعنى التربية بترسيخ العلم فى المتعلمين منهجا ومحتوى ، فكراً وتطبيقاً وبالتالى أن تجعله جانباً من الثقافة العامة وأساساً للحياة وللتنمية الشاملة فى الوطن العربى .
- أن تسهم التربية فى تطوير البحث العلمى وفى تمكين مؤسساته ومؤسسات التعليم والعلماء العرب عامة من المشاركة الفعالة فى الثورة العلمية استيعاباً لمنجزاتها وإسهاما فى إغنائها وفى ربطها بخير الإنسان على المستوى القومى والعالمى .
- أن تسهم التربية ذاتها فى الوطن العربى ، فى إرساء أسس التقنية باعتبارها تطبيقاً للعلم فى مجالات الحياة ، وفى توفير مقومات تطويرها وتكيفها لمطالب التنمية الشاملة ، فتكون ذات صبغة قومية فى أهدافها ومحتواها وفى العاملين عليها .

---

[٤٠] انطوان زحلان : العلم والتكنولوجيا فى الصراع العربى الإسرائيلى ، سلسلة أوراق مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٦ (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٨١) ، ص ٥ .

[٤١] المصدر نفسه : ص ٩ .

[٤٢] الشريف وأخرون : استراتيجية تطوير التربية العربية ، ص ١٣٢ .

- أن تستند التربية فى ذاتها فى الوطن العربى ، إلى أسس علمية مستوعبة لمنهجية العلوم الأساسية لها ولنتائجها ، مسهمة فى تطويرها ، متكيفة للأحوال والحاجات القومية ، لتسهم هذه الجهود العلمية مع التحليل الفلسفى فى إنشاء فكر تربوى متميز .

ومن الاعتبارات الأساسية التى يستند إليها هذا المبدأ ما يأتى :

- ما تولد عن الثورة العلمية فى التطبيق من الثورة التقنية تجلت فى الصناعة والزراعة ، وفى وسائل النقل والتواصل ، وفى الصحة والتربية ، وغيرها من مجالات الحياة . وهى ثورة ما تزال تتزايد وتؤلف مصادر ضخمة للثروة والقوة لمن يملكها ،كما لم تخلُ من آثار سيئة فى تطوير أسلحة العدوان والتدمير .
- تطور العلوم الأساسية للتربية ، وبخاصة العلوم السلوكية ، وتطور تطبيقاتها العلمية والتقنية فى مهنة التعليم وفى طرائقه وأساليبه ووسائله ، وحاجة التربية العربية إلى متابعة هذا التطور والإسهام فيه والانتفاع منه منهجا ومحتوى ، فكراً وتطبيقاً .
- واقع المجتمع العربى وحاجته الملحة فى الاعتماد على العلم والتقنية فى مواجهة التحديات الضخمة التى تحيط به ، وتتمثل فى الصهيونية والاستعمار والتخلف و التجزئة أو فى استثمار إمكانياته لتحقيق التنمية الشاملة وما تنطوى عليه من الحياة الكريمة لأبنائه ، وواقع التربية العربية وحاجاتها الملحة إلى اعتماد العلم والتقنية وجعلها أساساً لتطويرها ولإغنائها باستمرار .
- حاجة الوطن إلى متابعة الثورة التقنية وأسسها العلمية وإلى تطوير نماذجها الصالحة لحاجات التنمية الشاملة بإرساء أسسها بإعداد المعلمين ، وتكوين الأجهزة الملائمة ، وصياغة المشروعات بمنطلقات قومية ، وجعل جميع الجهود مستندة إلى الكفايات العربية وملائمة لحاجات المجتمع العربى ، وتجنب أخطاء نقل التقنية بصيغتها الجاهزة والاعتماد فيها على التصورات والكفايات الأجنبية [٥٣] .

إن قدرة التعليم العالى على السير فى هذا الطريق تقتضى ضرورة التخلى عن تلك القسمة بين تعليم عام وتعليم فنى ، وتبنى صيغة أخرى يتم فيها توحيد النوعين ، وقد صدرت عن اليونسكو توصيه بهذا الشأن جاء فيها [٥٤] :

أولاً : إن عبارة " التعليم التقنى والمهنى " يقصد بها – فى إطار هذه التوصية – أوسع معانيها وتطلق على جوانب العملية التربوية التى تتضمن (إضافة إلى التعليم العام)

---

[٥٣] المصدر نفسه : ص ١٣٣ .

[٥٤] الكويت ، وزارة التربية : إدارة التعليم الفنى والمهنى ، دراسة حول الدراسات العلمية فى مدارس الكويت ، ١٩٧٨ ([الكويت : الوزارة] ، ١٩٧٨) .

دراسة التقنيات والعلوم المرتبطة بها واكتساب المهارات والاتجاهات وضرورة الفهم والمعارف المتسمة كلها بالطابع العلمى ، فيما يتعلق بالمهن والأعمال فى شتى قطاعات الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

ثانياً : ينبغى أن يكون (التعليم الفنى والمهنى) بالمعنى المقصود منها :

أ- سبيلاً للالتحاق بقطاع مهنى .

ب- جزءاً لا يتجزأ من التعليم العام .

ت- وجهاً من أوجه التربية المستديمة .

ثالثاً : نظراً لضخامة العمل الجارى أو المرتقب فى مجال التنمية العلمية والتقنية الذى يتميز به العصر الحالى ، فإنه ينبغى للتعليم التقنى والمهنى أن يكون عنصراً أساسياً فى العملية التربوية ، وعليه بصفة خاصة :

أ- أن يسهم فى تحقيق أهداف المجتمع .

ب- أن يقود إلى التعرف على الجوانب العلمية والتقنية للحضارة المعاصرة ، بحيث يتفهم الناس بيئتهم ويقدرون على التأثير فيها باتخاذ موقف نقدى من المتضمنات الاجتماعية والسياسية للتقدم العلمى والتقنى .

إن الأخذ بهذه التوصية لا بد أن يؤدى إلى ضرورة تصفية التعليم التقنى والمهنى على مستوى المرحلة الثانوية ، باعتبار أنه لم يعد كافياً لمواجهة متطلبات العصر ، ولأن التعليم العام حتى نهاية المرحلة الثانوية سوف يصبح تعليماً شاملاً يتحقق فيه التكامل بين النظرية والتطبيق ، فلا معنى لبقاء الازدواجية فى هذه المرحلة ، ولخطورة التخصص المبكر ، ونتيجة لما أسفرت عنه تجربة التعليم الفنى على مستوى المرحلة الثانوية من محاذير .

أما مهمة إعداد العمال المهرة وغيرهم ، فإنها تترك لمراكز التدريب المختلفة التابعة لمواقع العمل ، مع إيجاد نوع من التعاون بين هذه المراكز والمعاهد الفنية للاستفادة من إمكانياتها فى تدريب هؤلاء العاملين .

إن هذه المرحلة الجديدة المطلوبة قد تبلورت حول فلسفة التكامل بين التعليم العام والتعليم الفنى والتقنى ، كما أنه قد تبلورت عن ظهور اتجاه قوى نحو نوع من التعليم الشامل الذى تحقق من خلاله الاتجاهات المأمولة [٤٤] .

---

[٤٤] جامعة الدول العربية : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، من قضايا التعليم الفنى فى البلاد العربية ، (تونس : [المنظمة] ، ١٩٨٠) ، ص ٤٥ .

لم يكن هذا الاتجاه مجرد موجة تقبل ثم تنحسر ، أو بدعة تومض ثم تخبو ، وفي كلمة ، لا يمكن أن يكون مجرد اختيار نملك ترف رفضه ، بل كان ضرورة ملحة تمليها ظروف العصر واتجاهاته القوية المتدفقة .

٥- الديمقراطية

في كلمة لمحمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان الأسبق ، رحمه الله ، قال : " أنا حزين على نفسي وعلى العرب ، لقد بدأت الانقلابات العسكرية تتكرر ، وما تزال الحريات في إجازة ..... إن الرخاء لا يعيش مع الاستبداد والقوة لا تحقق دون رخاء ، وعندما يصبح المواطن عاجزا عن أن يخدم بلده ، فهو بالتالي سيكون عاجزا عن أن يسترد فلسطين " [٤٦] .

تلك كلمة حق تصور بدقة ذلك الارتباط القوى بين مدى توافر الديمقراطية ، وقدرتنا على مواجهة التحدى الإسرائيلى ، فبعض الحكام حجبوا الحقيقة في كثير من الأحيان عن شعوبهم زعما بأن ذلك إنما هو لمصلحة القضية الفلسطينية ، وحتى لا يستفيد الإسرائيليون من المعلومات المطلوبة ، وبعضهم غيب العديد من المواطنين داخل السجون والمعتقلات ، ادعاء بأن هذا العمل يبعد أعداء الثورة عن المسيرة الوطنية لاسترداد الحق الفلسطيني ... أكاذيب تلو أكاذيب ، لأن الحقيقة التى لا ينبغى أن تغيب عن الأذهان ، أن كل مواطن يزج به فى السجون والمعتقلات لرأى ساقه أو موقف أبداه ، وكل حقيقة أخفيت عن المواطنين ، إنما هو خطوات إلى الوراء تبعدنا عن مواجهة التحدى ، لأن تلك المواجهة تتطلب قوة ، ولا قوة إلا بالديمقراطية ، المواجهة تتطلب ثقة بالنفس ، وهذه لا تتوافر إلا بالديمقراطية والمواجهة تتطلب الولاء ، والولاء لا يتوافر إلا إذا شعر المواطنون أن الوطن وطنهم حقاً ، وسبيل إيجاد هذا الشعور ، هو أن يشاركوا فى حكم البلاد .

إن هذا يتطلب منا البحث عن الدور الذى يجب على التعليم أن يقوم به مساهمة منه فى ترسيخ الروح الديمقراطية فى البلدان العربية ، حيث أن هذه الروح لها أشكالها المتعددة التى تتجاوز الأساليب والأشكال السياسية حتى تصبح طريقة حياة .

ومن هنا تطرح هذه الأسئلة طلباً للإجابة عنها [٤٧] :

أ- كيف يمكن تسريع نمو التعليم وزيادة فرص الحصول عليه فى الأقطار العربية ليصبح بالفعل تعليماً ديمقراطياً ؟

---

[٤٦] مجلة الأمة ، قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، العدد ٥١ (كانون الثانى / يناير ١٩٨٥) ، ص ٤٨ .

[٤٧] مكتب اليونسكو الاقليمى للتربية فى البلاد العربية : التربية الجديدة (بيروت) ، العدد ١٠ (كانون الأول / ديسمبر ١٩٧٦) ، ص ٣٤ .

ب- ما الأولويات التى ينبغى أن تعطى فى المرحلة القادمة فى السياسات التعليمية من أجل هدف ديمقراطية التعليم وتسريع تحقيقه ؟ (تعليم الكبار / تعليم الصغار - التعليم الابتدائى / الثانوى / العالى - تعليم المناطق الريفية - تعليم البنات) ؟

ت- إذا كانت مشكلة ديمقراطية التعليم تكمن أساساً فى القطاعات المحرومة أو الأقل حظا من التقدم ، فما هى الضمانات و الإجراءات التى يلزم اتخاذها فى المرحلة القادمة لتوفير التعليم لسكان هذه القطاعات ؟

ث- إذا كانت ديمقراطية التعليم هى فى التحليل النهائى توافر الكفاية الداخلية والخارجية لهذا التعليم ، وإذا كان تكافؤ الفرص التعليمية هو تكافؤ الإنجاز والاستمرار فى التعليم بنجاح ، فما الخطوات والضمانات التى يجب اتخاذها من أجل تجسيد هذه المعانى فى التعليم ؟

ج- ما الصيغ والتقنيات الجديدة التى يجب اتباعها لتسريع نمو التعليم فى المناطق الأقل حظاً من التقدم ؟ وكيف يمكن تطبيق هذه الصيغ والتقنيات ؟

ح- وهل يمكن تنظيم الجهود العربية المشتركة وتعبئة الإمكانات العربية المادية لتوفير التعليم لكل مواطن على الأرض العربية ؟ وكيف يتم ذلك ؟

خ- ما الضمانات التى ينبغى اتخاذها لجعل ديمقراطية التعليم أداة فعالة فى التنمية الاقتصادية الاجتماعية فى الأقطار العربية ؟

إن المجتمع القوى هو المجتمع الذى يقوم على أساس المشاركة الإيجابية من جميع أفراده وفئاته وعناصره ، دون تمييز بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة ، من أجل تحقيق أهداف واحدة ومصلحة مشتركة . والسبيل إلى ذلك الشورى والعمل بما ينطويان عليه من تقدير كرامة الفرد وفكره ومكانته ، ومسؤوليته ، وتقدير مصلحة الجماهير الخير العام .

والديمقراطية بهذا المعنى تؤكد الكفاية كما تؤكد العدالة الاجتماعية ، وأساسها ما يبذله كل فرد حسب استعداده وطاقاته فى فرص يتيحها له المجتمع بمؤسساته ، دون عوائق من أجل تحقيق الخير العام فالكفاية والعدل متلازمان فى حياة الفرد وفى حياة المجتمع ، بحيث تسقط ما عسى أن يكون من فوارق بين الأفراد والطبقات ، تحقيقاً لبذل الجهود ووفرة الإنتاج وعدالة التوزيع ، والتماسك بين الجميع [٤٨] .

ولو شئنا أن ننطلق إلى أفق أرحب ، فإننا نؤكد أن (الديمقراطية) ، بل وكل ما سبق أن ذكرناه ، لا سبيل له أن يؤتى ثماره الحقة ما لم يتوافر له مناخ عام يكفل له سلامة

---

[٤٨] الشريف وآخرون : استراتيجية تطوير التربية العربية ، ص ٢٤٨ .

الصحة ، وفرص النمو والازدهار ، ذلك هو ما يسمى بـ (المجتمع المتعلم) الذى يتميز بعدد من الخصائص يمكن إجمالها فيما يلى [٥٩] :

- إثبات حق التعليم لجميع المواطنين بلا استثناء حقاً أصيلاً تفرضه جملة من المبادئ الرئيسية مثل الإنسانى والإيمانى والقومى والتنموى والديمقراطى وغيرها ، وهو حق متصل بمكانة الإنسان فى المجتمع واعتماداً على هداية عقله وضميره وسعيه فى طلب الكمال . وقد نصت عليه شريعة منظمة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان (١٩٤٨) ، ونصت عليه دساتير الدول الحديثة وأصبح من مسئوليات الدولة وواجباً من واجباتها .
- تفسير مبدأ تكافؤ الفرص التربوية أمام الجميع وتوفير المساواة فيها توفيراً يتجاوز مجرد توفير حق الالتحاق بها ، إلى التغلب على الصعوبات والعقبات التى تحول دون بعض الفئات وتعويضهم عما أصابهم من حرمان بسببها ، ويكيف التعليم بمحتواه وطرائقه لحاجاتهم وتمكينهم من التخرج من مراحله ومن مواصلة التعليم .
- تغيير ملحوظ فى مفهوم التربية نفسها يجعل التعلم جوهرها ،ويضمن شمولها وتكاملها واستمرارها فى الزمان والمكان . فالتعليم القائم على الجهود الذاتية ، المؤدى إلى تطوير الشخصية من جميع جوانبها الروحية والفكرية والخلقية والجمالية والجسمية ، والمستند إلى قدرة الإنسان على مواصلته غير مقيد بزمان أو مكان ، أساس للمجتمع المتعلم فى خير صوره ، ويترتب على هذا المفهوم تغير فى طبيعة المؤسسات التربوية وبيئاتها .
- تجاوز التخلف وتحقيق التنمية الشاملة وما تستند إليه من وفرة الإنتاج وعدالة التوزيع والموازنة بين الحقوق والواجبات والمساواة فيما بين جميع المواطنين ، لتتحقق التربية على خير صورها ، فى مجالات تفاعلها مع مجتمعها ، وليكون المجتمع جميعه مجالاً فسيحاً لها .

وفيما بعد .....

لقد نال الأمة العربية فى تاريخها الحديث والمعاصر كثير من شرور الاستعمار والصهيونية أسهمت فى الضعف والتخلف والتجزئة ، ومن حقها أن تتشد القوة تدفع بها تلك الشرور وتنفى آثارها . وما حققته الحركات القومية فيها من التحرر والاستقلال وما يتوافر لها من الإمكانيات المادية والبشرية كفيل أن يوفر لها مصادر متعددة القوة ، وفى قيمتها الإنسانية

---

[٥٩] المصدر نفسه : ص ١٥١ .

وتراثها الحضارى ما يجعل منها قوة للخير والبناء ، تتخذ من التعليم وتطويره أداة من أدواتـــها فى هذا السبيل .

وإذا كانت الدراسة الحالية قد أكدت أن القوة لها مظاهرها المتعددة ،فى ديننا ، وفـــى العلمية ، وفى التنمية ، وفى الديمقراطية ، وفى القومية وغيرها ..... إلخ ، إلا أننا لا ينبغـــى أن ننسى المعنى المباشر والجزئى والشعبى أيضا للقوة ، وهذه هى القوة البدنية ، قـــوة الصحـــة ، وقوة السلاح العسكرى وما يتطلبه من استعدادات .